قصة سيدنا "شُعيب"

عليه السلام

دراسة في البنية والتركيب والدلالة

إعداد

د. حامد محمد عبدالعزيز أيوب

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك بجامعة الجوف

قصة سيدنا "شُعيب" عليه السلام دراسة في البنية والتركيب والدلالة

حامد محمد عبدالعزيز أيوب

قسم النحو والصرف والعروض، كلية الآداب، جامعة الجوف، السعودية.

البريد الإلكترونى: Drhrabie_text21@yahoo.com

ملخص البحث:

ينهض هذا البحث بدراسة دلالية للبنية اللغوية والتركيب في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام ، وذلك باستخدام المنهج الوصفي مفيدًا من آليات التحليل الإحصائي للآيات في مستوياتها اللغوية المتباينة وأثر ذلك في المعنى؛ وذلك لسببين الأول: أن القرآن الكريم يعد النموذج الأمثلَ نظمًا، وفصاحةً، وبيانًا؛ و قصة سيدنا شُعيب عليه السلام عالجت خروج قومه عن المألوف بكفرهم بالله وآياته، وفسادهم في النواحي الاقتصادية، وبغيهم في الأرض، أما الآخر: فبيان كيفية تشكل الخطاب القرآني في قصة سيدنا شُعيبٍ عليه السلام صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا وأثر ذلك كله في إثراء الدلالة ، وانتهت الدراسة إلى أن قصة سيدنا شُعيب عليه السلام في أصواتها انسجمت مع مراميها ومقصدية أطراف الحوار فيها، أما صرفيًّا فأسهمت صيغ الأفعال، والمشتقات في سياقاتها النصِّية عن كشف طبيعة الحوار، وأهداف النصّ، وأما نحويًّا فأدت التراكيب النحوية وما يدخلها من تقديم وتأخير وحذف وذكر وتكرار دورها في إثراء الدلالة وإذكاء الحوار .

الكلمات المفتاحية: شُعيب–البنية اللغوية – دلالية– الأصوات– الصرف – النحو.

The Story of our master Shu'aib, Peace Be upon Him,a Study of Structure, , structure and Significance

Hamed Mohamed Abdel Aziz Ayoub

Department of Syntax, Morphology and Prosody, Faculty of Arts, Al-Jouf University, Saudi Arabia

Email: Drhrabie_text21@yahoo.com

Abstract:

This research deals with the semantic study of the linguistic structure in the story of our master Shu'aib, peace be upon him, by using the descriptive method depending on the mechanisms of statistical analysis of the verses in their different linguistic levels and its effect on meaning. This is for two reasons:

The first is that the Noble Qur'an is the ideal model in order, eloquence, and explanation. And the story of our master Shu'aib, peace be upon him, dealt with the departure of his people from the usual by their disbelief in Allah and His signs, their corruption in the economic aspects, and their arrogant behaviour in Earth.

The second is to explain how the discourse of Noble Qur'an was formed in the story of our master Shu'aib, peace be upon him, phonetically, morphologically and grammatically (syntactically), and the effect of all this on enriching the significance. The study has concluded that the phonological phenomenon of the story of Shu'aib, peace be upon him, was consistent with its goals and the intent of its dialogue aspects.

Morphologically; the form of verbs and their contextual derivatives contributed to revealing the nature of the dialogue and the goals of the text.

For syntax; the grammatical and syntactic structures in their forms of preceding, delaying, deletion, mention and repetition did their role (participated) in enriching the connotation and fuelling dialogue.

Key Words: Shu'aib - linguistic structure –semantic- sounds - morphology - syntax.

المقدمة:

يتسم القرآن الكريم بإعجازه، وفصاحته وبيانه، ودقة في اختيار ألفاظه؛ وتأتي قصة سيدنا شُعيب عليه السلام؛ لتوحي بمكوناتها اللغوية، عن روعة الخطاب القرآني، واتساقه مع مراميه؛ لذا **يأتي هذا البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية:**

- ما وظائف الصوت في قصة سيدنا شعيب عليه السلام؟
- ما فاعلية البنى الصرفية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام؟
- ما مدى فاعليَّة التراكيب النحوية، وما يدخلها من منبهات أسلوبية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام؟

ومن هنا **يأتي اختيار هذا البحث لسببين** الأول: أن القرآن الكريم يعد النموذج الأمثل نظمًا، وفصاحة، وبيانًا؛ وقصة سيدنا شُعيب عليه السلام عالجت خروج قومه عن المألوف بكفرهم بالله وآياته، وفسادهم في النواحي الاقتصادية، وبغيهم في الأرض، ووردت في أربع سورة من القرآن الكريم وهذا يعدُّ سرًّا من أسرار الإعجاز القرآني إذ إن ورودها في سورة الأعراف " دلًا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة"([1]) ،أما في سورة هود فهو عليه السلام يحذرهم من عذاب يوم محيط ، ووصف العذاب بالمحيط يدل على هوله وإحاطته بالشيء من كل جانبٍ([2])، وفي سورة الشعراء ذَكَّرهم عليه السلام بنعم الله عليهم،...وأنهم أهل بدو ، وكان سيدنا شُعيب عليه السلام

- البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ،١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م ج٧ /١.٤٥٩

– ينظر: السابق ج٩/ ٢.٣٥٢

قرويًّا، والله سبحانه" لم يرسل نبيًّا إلا من أهل القرى، تشريفًا لهم؛ لأن البركة والحكمة في الاجتماع"([1])، وفي سورة العنكبوت ذُكرت قصة سيدنا شُعيب عليه السلام عقب قصة سيدنا لوط عليه السلام؛ " لإقامة الأدلة على البعث الذي هو من مقاصد السورة"([2])، أما السبب الآخر لاختيار قصة سيدنا شُعيب عليه السلام للبحث؛ فهو بيان كيفية تشكل الخطاب القرآني في هذه القصة صوتيًّا وصرفيًّا ونحويًّا وأثر ذلك كله دلاليًّا.

ويهدف هذه البحثُ إلى دراســـة دلالية للبنية اللغوية والتركيبية في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام، للوقوف على وجه من إعجاز القرآن اللغوي.

أما عن **الدِّراسات السابقة** فلم أقفْ على دراسة لغوية تناولت قصة سيدنا شعيب عليه السلام في القرآن الكريم على هذا النحو.

ومنهج البحث هو المنهج الوصـــفي مفيدًا من آليات التحليل الإحصائي للآيات في مستوياتها اللغوية المتباينة، وأثر ذلك في المعنى.

وتنحصـــر **حدود هذه البحث** في الآيات من الخامســة والثمانين إلى الرابعة والتســـعين من ســـورة الأعراف، والآيات من الرابعة والثمانين إلى الخامسة والتسعين من سورة هود، والآيات من الآية مائة وستة وسبعين إلى الآية مائة وستة وتسعين من سورة الشعراء، ومن الآية السادسة والثلاثين إلى الآية السابعة والثلاثين من سورة العنكبوت([3]) .

---

١ – السابق ج١٤/ ٨٥.

٢– السابق ج ١٤/ ٤٣٦.

3– وقد ذُكِرَ تكذيب أصحاب الأيكة مرتين في سورة ق من الآية ١٤، وسورة ص من الآية ١٣ وهذا ذكر عام شمل الأقوام السابقة.

وقد اقتضـــت **خطة البحث** أن تتضـــمن مُقدِّمةً، وتمهيدًا، وثلاثة مباحثَ، جاء أولها بعنوان: **وظائف الصوت في قصة سيدنا شعيب عليه السلام**، وجاء المبحث الثاني بعنوان: وظائف البنى الصـــرفية **في قصـــة سيدنا شعيب عليه السلام**، وجاء المبحث الثالث بعنوان: وظائف التراكيب النحوية **في قصة سيدنا شعيب عليه السلام**، تقفوها جميعًا خاتمة تتضمن أهم نتائج البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد:

ينطلق هذا البحث من فكرة مفادها أن المســـتويات اللغوية بناء متكامل، لا يبعد أحدها عن الآخر؛ للوصـــول إلى الغاية من أي منطوق، وهي الدلالة ([1])؛ ويدرس هذا البحثُ قصة سيدنا شُعيب عليه السلام دراسة دلالية للبنية اللغوية بوصفها نموذجًا تطبيقيًّا للخطاب القرآني الذي يتضافر فيه بناؤه اللغوي صـــوتًا وصـــرفًا ونحوًا؛ للتعبير عن مراميها مع ذكرها في مواضع متفرقة، وإذا كان الخطاب القرآني بين طرفي الحوار (سيدنا شُعيب عليه الســـلام وقومه) يمثل الركيزة الأســـاس في بناء هذا البحث؛ لذا فإن الباحثَ سيقف أمام تعريف الخِطاب في اللغة والاصطلاح:

الخطاب في اللغة: يدور المعنى اللغوي لمادة (خ ط ب) حول الشـــأن والأمر وســـببه، وكثرة التصـــرف، والمراجعة في الكلام... ([2])، أما في

---

[1] – كشـــك: د أحمد: من وظائف الصـــوت اللغوي محاولة لفهم صـــرفي ونحوي ودلالي، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م ص ٧. .

[2] – ينظر: ابن منظور: لســـان العرب، دار المعارف، ت: عبد الله على الكبير وآخرين، د. ت، (خ ط ب) ، ص ١١٩٤، ١١٩٥. .

الاصـطلاح فهو:" اللفظ المتواضـع عليه المقصـود به إفهام من هو متهيء لفهمه "([1]). وجاء التحليل الدلالي اللغوي لقصتنا على النحو الآتي:

المبحث الأول: وظائف الصوت في قصة سيدنا شعيب عليه السلام:

أدت الأصـوات دورها في التعبير عن العلاقة بين سيدنا شُـعيب عليه السـلام وقومه، ومن ذلك:

١: الإيقاع في مستوى الأصوات:

الأصـوات لها دورها في دلالة الكلمة، فتتشـكل الكلمات من أصـوات حروف؛ لتأتي مناســبة للأحداث التي يعبر بها عنها، وينبه ابن جني "أنهم كثيرًا ما يجعلون أصــوات الحروف على ســمت الأحداث المعبَّر بها عنه، ..."([2]) فرخاوة الخاء ناســبت الرطب، فقالوا الخضــم لأكل الرطب، والقاف لشدتها ناسبت الصلب فقالوا القضم للصلب اليابس، وقد جاءت الأصوات موضــع الدراســة في قوله سـبحانه :" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُـعَيْباً قَالَ إلى قوله تعالى إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّـرَّعُونَ"([3])، وفي قوله جلَّ شأنه " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إلى قوله سـبحانه فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ"([4])، وفي قوله سـبحانه :"

---

[1]–الكفوي: الكليات معجم في المصـــطلحات والفروق اللغوية، قابله على نســـخة خطية ووضع فهارسه، د. عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م ، ص٤١٩.

٢ – ابن جني: الخصـــائص، ت: محمد عبدالعزيز النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت، د ت، ج٢/ ١٥٧.

٣ – الأعراف من الآية ٨٤ إلى الآية ٩٤.

٤–هود من الآية ٨٤إلى الآية ٨٥

كَذَّبَ أَصْـــحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَـــلِينَ إلى قوله تعالى وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ"(١)، وفي قوله تبارك اسـمه " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُـعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ إلى قوله سبحانه فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"(٢) حسب الجدول الآتي (٣):

الأصوات	الجهر والهمس	الشدة والرّخاوة	مرات تواتره	المخرج
النون	مجهور	بين الشديد والرخو	٢٦٢	ذلقي
الهمزة	مجهور	شديد	٢٣٦	حلقي
الألف	مجهور	رخو	٢٣٣	حلقي
اللام	مجهور	بين الشديد والرخو	٢٣١	ذلقي
الميم	مجهور	بين الشديد والرخو	١٩٨	شفوي
الياء	مجهور	رخو	١٨٥	وسط اللسان
الواو	مجهور	رخو	184	شفوي
الباء	مجهور	شديد	٩٨	شفوي
الراء	مجهور	بين الشديد والرخو	٨٧	ذلقي
العين	مجهور	بين الشديد والرخو	٧٦	وسط الحلق
القاف	مجهور	شديد	61	أقصى اللسان
الدال	مجهور	شديد	٣٨	طرف اللسان وأصول الثنايا
الذال	مجهور	رخو	٣٥	طرف اللسان وأطـــــراف الثنايا

١- الشعراء من الآية ١٧٦ إلى الآية ١٩٦.

٢ - العنكبوت في الآيتين ٣٦ و ٣٧.

٣- ينظر : في مخارج الأصوات وصفاتها: سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق وشـــرح عبد الســـلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢،،١٤٠٢هـ -١٩٨٢م، ج٤/٤٣٣ وما بعدها . .

الجيم	مجهور	شديد	٢٤	وسط اللسان
الزاي	مجهور	شديد	١٥	طرف اللسان وفويق الثنايا
الطاء	مجهور	شديد	١٣	طرف اللسان وأصول الثنايا
الظاء	مجهور	رخو	٧	طرف اللسان وأطـــــراف الثنايا
الضاد	مجهور	رخو	٧	لساني
الغين	مجهور	رخو	٧	أدنى الحلق
الكاف	مهموس	شديد	٩٠	الـلســـــان والـحـنـــك الأعلى
التاء	مهموس	شديد	٨٨	طرف اللسان وأصول الثنايا
الهاء	مهموس	رخو	٧٤	أقصى الحلق
الفاء	مهموس	رخو	٦٢	شفوي أسناني
السين	مهموس	رخو	٣٨	طرف اللسان وفويق الثنايا
الخاء	مهموس	رخو	٢٧	أدنى الحلق
الحاء	مهموس	رخو	٢٦	وسط الحلق
الشين	مهموس	رخو	٢٠	وسط اللسان
الصاد	مهموس	رخو	١٧	طرف اللسان وفويق الثنايا
الثاء	مهموس	رخو	١٣	طرف اللســان وأطراف الثنايا
المجموع	٤٥٥ مهموسًا	١٨,٥٦٪ نسبة المهموس		٢٤٥٢
	١٩٩٧ مجهورًا	٨١,٤٤٪ نسبة المجهور		

ملاحظات حول الجدول الإحصائي؛ يمكن تناولها على النحو الآتي:

١-أن قصة سيدنا شُعيب عليه السلام بُنِيَتْ على كل الحروف العربية الأصلية.

٢-أن هذه الحروف جمعت بين كثير من مظاهر الإعجاز القرآني؛ إذ إن هذه الأصوات بالنظر إلى خاصيتي الجهر والهمس قد انتمت في أغلبها إلى الأصوات المجهورة التي وردت في (١٩٩٧) موضعًا بنسبة ٨١،٤٤٪، وهذا أكسب القصة " رنينها الخاص "(١)؛ فالأصوات المجهورة تتسم بوضوحها السمعي، ويزداد الأمر وضوحًا إذا علمنا أن أصوات اللين (الياء، و الواو، و الألف)، وأصوات أشباه اللين (اللام، والميم والنون) وردت في (١٢٩٣) موضعًا؛ لتمثل ٥٢،٧٣٪ من الأصوات في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام، وهي في السمع " أكثر وضوحًا "(٢) ، وقد جمعت هذه الأصوات (اللين وأشباه اللين) إلى ذلك صفتي (الاستفال والانفتاح).

في الوقت الذي وردت فيه الأصوات المهموسة في (٤٥٥) موضعًا بنسبة ١٨،٥٦٪، وهذا أسهم بتلون النسيج الصوتي للآيات بما يتناسب مع

١-أنيس، د: إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ط٥، ١٩٧٥م، ص٢١.

٢ – السابق، ص٢٧، وينظر: أيوب: حامد محمد عبدالعزيز: الفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب دراسة إيقاعية دلالية، كتاب مؤتمر أسئلة البلاغة والدراسات البينية (عُقد بكلية الآداب جامعة المنوفية، عُقد المؤتمر بكلية الآداب، جامعة المنوفية، الفترة من٣١من يناير ٢٠١٥م إلى ٢من فبراير عام ٢٠١٥م)، ص ١١٥٠ وما بعدها.

الحوار في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام صعودًا وهبوطًا إعلانًا وإخفاءً، وإقبالًا وإعراضًا.

٣-أن هذه الأصوات انتمت إلى خاصية الشدة في (٦٦٣) موضعًا بنسبة ٢٧،٠٤٪، مما يدل على الإبانة والوضوح في كل موضع من هذه المواضع لمنع جريان النفس عند النطق به، وأن صوت الهمزة الذي جمع بين الجهر والشدة والاستفال والانفتاح أكثرها ترددًا إذ إنه ورد في (٢٣٦) موضعًا " وهو صوت شديد ...؛ لأن فتحة المزمار مغلقة إغلاقًا تامًا، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ... "([1])، ووردت الأصوات الرِّخوة في (٩٣٥) موضعًا بنسبة ٣٨،١٣٪، وهذا منح قصتنا إمكانية التطريب بها ؛لأنها أصوت مستمرة في النطق ، ما دام في الرئتين هواء ([2]) وأن الأصوات المتوسطة بين الشدة والرِّخوة ذكرت في (٨٥٤) موضعًا بنسبة ٣٤،٨٣٪، وللوقوف على الأثر الصوتي في لغة الخطاب القرآني في قصتنا نأخذ من ذلك ما جاء في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه في قوله تعالى:" قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ إلى قوله سبحانه وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ(٨٧)" ([3]) في هذا السياق تراكمت الأصوات المجهورة بما تشيعه من قوة في الإسماع وصوت مرتفع، وهذا يتساوق مع الغايات الدلالية للنص من أمر قومه بالتوحيد، وإيفاء الكيل،

١-أنيس، د. إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص٩٠.

٢- عبدالتواب، د. رمضان: المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٤١.

٣- الأعراف من الآية ٨٥ إلى الآية ٨٧، وينظر: هود من٨٤.

ونهيهم عن الظلم، والإفساد في الأرض، وقطع السبل أمام مَنْ أرد الهداية(١)، وبهذا تصل رسالته عليه السلام بأمرها ونهيها إلى قومه كلهم، فيسمعه القريب والبعيد، وقد أدت أصوات المد بترددها في ستة وتسعين موضعًا في الدوال (يَا– و قَوْمِ – و اعْبُدُواْ ،واللَّهَ، و مَا، و إله، و غَيْرُهُ ،و جَآءَتْكُمْ، و بَيِّنَةٌ ،و وأَوْفُواْ ، والْكَيْلَ، وَالْمِيزَانَ، وَلَا، و تَبْخَسُواْ، و النَّاسَ، و أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا، و تُفْسِدُواْ، و فِي، وإِصْلَاحِهَا، و ذلِكُمْ ، وخَيْرٌ ،ومُّؤْمِنِينَ ، وَلَا، و تَقْعُدُواْ ، و صِرَاطٍ، و تُوعِدُونَ ، وَتَصُدُّونَ ،و سَبِيلِ، و اللَّهِ ،وآمَنَ ،وَ تَبْغُونَهَا، و عِوَجًا، وَاذْكُرُواْ ،و قَلِيلاً ، وَانْظُرُواْ، و كَيْفَ، و كَانَ، و عَاقِبَةُ، و الْمُفْسِدِينَ ، وَ طَائِفَةٌ ،و آَمَنُوا، و بِالَّذِي، وَطَائِفَةٌ ،و يُؤْمِنُوا ، فَاصْبِرُوا ،و اللَّهُ ،وبَيْنَنَا وَهُوَ، و خَيْرُ، و الْحَاكِمِينَ) والأصوات السابقة، أمرين ، الأول : تجميع الصوامت ؛لتأليف الكلام ، والآخر : إطالة الصوت مما أضفى على الصوت التطريب و قوة الإسماع؛ لاتساع مخرجها. (٢)، أضف إلى أن قوله عليه السلام (يَا قَوْمِ) يكشف حرف المد الياء (ياء المتكلم) عن مكانة القوم عند نبيهم، وحبه لهم، وقربهم منه، ورغبته في خلاصهم مما ووقعوا فيه.

لكن وقع الأصوات لم يسر على وتيرة واحدة إذ جاء خافتًا لينشر جوًا من الهدوء يتلاءم مع حال أفعال القوم، فالأصوات المهموسة مع قلة انتشارها

١–ينظر : ابن عاشور: الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م ، ج٢٤١/٨ وما بعدها.

–ينظر : سيبويه: الكتاب ج٢٠٦/٤، و٤٣٦، والمطلبي: د. فاضل راغب: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، مشورات زارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٤م، ص٤٥، والفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب دراسة إيقاعية دلالية، ص١١٥١٢

وترددها، فلم تذكر إلا في تسعة وستين موضعًا من الآيات، إلا أن المتلقي يلمس فيها الانسجام مع الأحداث المرتبطة بها، ففي الدوال (تَبْخَسُواْ، و النَّاسَ، و أَشْيَاءَهُمْ، وتُفْسِدُواْ، و إِصْلَاحِهَا) نرى الحروف المهموسة (التاء، والخاء، والسين، والشين، والهاء، والفاء، والصاد، والحاء) و جمعت حروف (السين ، والشين ، والهاء، والفاء ، والحاء) بين الهمس والرخاوة والاستفال، والانفتاح ، و حرف التاء اتصف بالهمس والشدة والاستفال، والانفتاح، وحرف الخاء جمع بين الهمس والرخاوة والاستعلاء، والانفتاح ، وحرف الصاد جمع بين الهمس والشدة والاستعلاء والإطباق ، و يوحي ورود هذه الأصوات بأمرين ، الأول: دلالي وهو الخفاء المناسب لما دأب عليه القوم في ظلمهم، وغشهم، وفسادهم، من السرية والتخفي والاحتيال للوصول إلى مآربهم الفاسدة، مع رغبتهم في انتشارها في الوقت عينه، وكشف عن انحطاط أفعالهم، وهذا كله يتناسب مع خفوت هذه الأصوات وضعفها؛ لعدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بها ، ومن هنا لا تحدث رنينًا ،أضف إلى أن مجرى الهواء عند النطق بها ضيق لرخاوتها والصوت معها يحدث صفيرًا أو حفيفًا؛ لسهولة نطقها (١)، أما الآخر: فصوتي إذ إن هذه الأصوات مستمرة ومتمادّة مما منح السياق إمكانية التطريب بها ما دام الهواء بالرئتين(٢) .

١-ينظر: الأصوات اللغوية ص ٢٠-٢٤،

٢ – وربما يقف هذا الإعجاز الصوتي وراء حفظ غير العربي للقرآن الكريم حفظًا يفوق حفظ العرب، على الرغم من عدم إدراك الدلالات القرآنية إدراكًا كاملًا، وحتى العربي لا يستطيع حفظ صفحتين مثلًا من كتاب بلاغي أو نقدي، بينما يتم الطفل حفظ القرآن كاملًا قبل أن يعرف حروف العربية. وهو ما يتسق مع قول الله عز

ومن أمثلة خطاب قوم سيدنا شُعيب عليه السلام لنبيهم قولهم في قوله تعالى " قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ إلى قوله سبحانه لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا"([1]) إن غلبة الأصوات المجهورة في خطاب القوم يوحي بالرفض والخروج على كل النواميس، و أن الارتكاز على حرف اللام المؤكد منطلقًا ، و حرف النون – وهو أكثر الأصوات المجهورة ترددًا في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام إذ إنه ورد في اثنين وستين ومائتي موضعٍ بنسبة ١٠.٦٩٪ من الأصوات في قصتنا– ورد تسع مرات في الدوال (لَنُخْرِجَنَّكَ ،وَالَّذِينَ، و آَمَنُوا ،و مِنْ، و قَرْيَتِنَا ،و لَتَعُودُنَّ ،و مِلَّتِنَا) قد أسهم في خلق صوت صاخبٍ و جوٍّ مضطربٍ ومتوترٍ لارتفاع أصواتهم التي تحمل عداء القوم المؤكد لنبيهم، ومن آمن معه ، وهذا ينذر بسوء المآل، وهذا يتناسب مع صوتي اللام الجانبي ، و النون الأنفي اللذين يجمعان بين الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح في ظهورهما و وضوحهما وتذبذب الوترين الصوتيين عند نطقهما، ومرور الهواء في التجويف الأنفي عند نطق النون محدثًا نوعًا من الحفيف في مروره([2]) ، وقد صاحب حرفي اللام و النون في تكوين هذه الدوال أصوات (الراء ، و الميم ، والكاف ، والذال) ومعظمها أصوات مجهورة متوسطة و تتصف بالاستفال والانفتاح إلا الكاف فهو حرف مهموس شديد وفيه استفال وانفتاح، وقد أوحت هذه الأصوات بالعنف والقوة

وجل: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" القمر: الآية ١٧، وذكرها في أكثر من موضع في السورة الكريمة

١–الأعراف من الآية :٨٨.

٢– عبدالتواب، د. رمضان: المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، ص٤٩.

والبطش بنبيهم مع الإصـــرار على تكرارهم لهذا، وشـــيوع الاســـتفال في هذه الحروف يوحي بانحطاط أفعال القوم و معتقداتهم وفسادها .

وتستمر الأصوات في قصتنا مؤدية دورها من خلال تشكيلها الكلمات للكشف عن العلاقة بين شُعيب وقومه، فجاء في خطابه لقومه بسورة هود قوله تعالى :" قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ إلى قوله جلَّ شـــأنه عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ"([1]) فمع انتشار الأصوات المجهورة الموحية بعلو الصوت المنسجم مع الأمر بالتوحيد والنهي عن الغُش بعدم نقص الكيل أو الميزان والأمر بإيفاء الوزن ، والنهي عن الظلم باجتناب أمرين هما بخس الناس أشـياءهم و الفســاد في الأرض، إلا أن ورود أصـــوات (الياء ، والواو ، والألف ، و الميم ، والنون ، والقاف ، والكاف، والفاء ، والعين) و مع غلبة الأصـــوات المجهورة مع جمعها بين الاســـتفال والانفتاح ، وإطالة الصـــوت بحروف المد ، واهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بها ، لكن تشكيل هذه الأصوات للدوال (يَا، و قَوْم، وِ إِنّي، و أَرَاكُمْ، و بِخَيْرٍ، و وَإِنّي، و أَخَافُ، و عَلَيْكُمْ ، وخَيْرٌ ، ولَكُمْ) أضف إلى المزج في كلمة (أخاف) بين صوت(الهمزة) وهو صوت حنجري مجهور شـــديد صـــعودًا لانفجار الهواء عند النطق به([2])، وصـــوتي الخاء الطبقي والفاء الشفوي الأسناني المهموسين الرّخوين هبوطًا وضعفًا، وإسهام الألف في مد الصوت ، كل هذا يوحي بصوت رقيق ممتد يحمل الرحمة ، والإشفاق ، والأسى ، والحزن الذي يملأ قلب سيدنا شُعيب عليه السلام والخوف على قومه، ورغبته في الخير لهم ، وحرصـــه على نجاتهم من

---

١ –هود من ٨٤ :٨٦

٢– المدخل إلى علم اللغة، ص ٥٦.

العذاب، وغلبة صـفتي الاسـتفال والانفتاح بالهمزة والألف والفاء يوحي بلين جانب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه ورحمته بهم.

وفي مقابل هذه الرحمة من نبيهم نجد القوم في خطابهم مسـتمرين في عنادهم وسـخريتهم منه، ومن أمثلة ذلك ما أتى في قوله عز وجل " قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ إلى قوله سبحانه الرَّشِيدُ"(١) ففي هذه الآية تتردد الأصوات المجهورة تسـعًا وخمسـين مرةً، بنسـبة ٨٣٪ في حين ترددت الأصـوات المهموسة في اثني عشر موضعًا بنسبة ١٧٪، وجاءت أصوات اللين وأشباه اللين في سبعة وثلاثين موضعًا، وهذا يوحي بارتفاع الصوت وشدته؛ فالقوم لم يقابلوا إحسـان سـيدنا شُـعيب عليه السـلام إلا بالسـخرية ، وزاد من توكيد ذلك دخول هذه الأصـوات في إذكاء الألفاظ (أَصَـلَاتُكَ، و تَأْمُرُكَ، و أَنْ ، و نَتْرُكَ، وآبَاؤُنَا، أَوْ، و أَنْ، و نَفْعَلَ ، و أَمْوَالِنَا، ونَشَـاءُ، و إِنَّكَ، و لَأَنْتَ، و الْحَلِيمُ، و الرَّشِيدُ) وأدى شيوع صفتي الاستفال والانفتاح في هذه الأصوات دوره في بيان اسـتفال معتقداتهم وأقوالهم وأفعالهم مع سـيدنا شُـعيب عليه السلام .

وفي سـورة الشـعراء تظل الحوارية بين سـيدنا شُـعيب عليه السـلام وقومه قائمة على الإقبال والإعراض، وتستمر غلبة الأصوات القوية المجهورة فتتراكم في أربعة وخمسين وأربعمائة موضعٍ بنسبة ٨٤,٥٪، وتأتي الأصوات الضـعيفة المهموسـة في ثلاثة وثمانين موضـعًا بنسـبة ١٥,٥٪؛ إلا أن النص القرآني هنا يكشـف عن جانب آخر من العلاقة، فالنص لا يُذكَر بالدلالة نفسـها في كل موضـع، ومن ذلك ما جاء في خطاب سـيدنا شُـعيب عليه

١ – هود: الآية ٨٧

السـلام في قوله تعالى:" وَمَا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إلى قوله سـبحانه رَبِّ الْعَالَمِينَ"(١).

فمع انتشـار الأصـوات القوية المجهورة في ثمانية وثلاثين موضـعًا بنسـبة ٩٢,٦٪ وعلو الجرس، إلا أن الأصـوات تدخل في إذكاء الكلمات بالرحمة ومراعاة حال القوم؛ وكاشـفة عن إدراك سـيدنا شُـعيب عليه السـلام الطبيعة التجارية للقوم وقيام أمرهم على الكسـب والخسـارة، وذلك بتشـكيل الدوال (وَمَا، وأَسْـأَلُكُمْ، وعَلَيْهِ، ومِنْ، وأَجْرٍ، وإِنْ، وأَجْرِيَ، وإِلَّا، وعَلَى، ورَبِّ، والْعَالَمِينَ) وزاد من توكيد ذلك النفي بـــــ (ما) و قوله (مِنْ) فورود الميم والنون وهما صـوتان أنفيان مجهوران فيهما الاسـتفال والانفتاح ، مع اهتزاز الوترين الصـوتيين ، وحدوث حفيف ممتد بـالألف، يوحي بـالألم الممتد والصوت الحزين، والأسى لحال قومه ونفيه القاطع لأي أجر يسعى إليه جزاء نصحه ، فأجره على رب العالمين.

وهنا يأتي خطاب القوم في قوله جل شـأنه:" قَالُوا إِنَّمَا مِنَ الْمُسَـحَّرِينَ إلى قوله سبحانه الصَّادِقِينَ"(٢) في هذا السياق تنتشر الأصوات المجهورة في سـبعة وسـبعين موضـعًا بنسـبة ٨١,١٪، وهذا مخالف لأدب الحوار، ولا يتساوق مع مقدمة الحوار الرحيم من سيدنا شُعيب عليه السلام؛ لارتباط هذه الأصـوات بدوال هجومية ومزاعم مشـكوك فيها، في حين تتردد الأصـوات المهموسة في ثمانية عشر موضعًا بنسبة ١٩,٩٪، ، وتردد النون في تسعة عشر موضعًا بنسبة ٢٠٪ من جملة الأصوات يدل على اعتداد القوم بأنفسهم

١ – الشعراء من الآية ١٨٠.

٢– الشعراء: من الآية ١٨٥إلى قوله ١٨٧.

وظلمهم لنبيهم، واســـتفال كل ما أتوا به ؛ وذلك لدخولها في تشـــكيل الدوال (إِنَّمَا، و أَنْتَ، و مِنَ، و الْمُسَـحَّرِينَ ، وأَنْتَ، و بَشَـرٌ ،ومِثْلُنَا، وَإِنْ، و نَظُنُّكَ، و لَمِنَ، و الْكَاذِبِينَ ، وعَلَيْنَا ، وكِسَفًا، و مِنَ ، إِنْ، كُنْتَ، و مِنَ، الصَّادِقِينَ) وهي دوال تحمل دلالات الشك والتوهم دون أساس ثابت، وتوحي بحقارتهم.

٢-إيقاع الأصوات في الفواصل القرآنية:

يدور المعنى اللغوي لمادة(ف ص ل) حول الحاجز والبون والقطع. ([1])

أما في الاصـــطلاح فالفاصـــلة القرآنية هي "كلمة آخر الآية "([2])، وفي قصـــتنا عدد الحروف التي بنيت عليه الفاصـــلة ســـبعة أحرف هي (النون، والميم، والدال، والباء، والطاء، والزاي، والظاء) على نحو ما يأتي:

الحرف الذي بُنِيَت عليه الفاصلة	عدد مرات تواتره	نسبته المئوية
النون	٣٢	٧١,١٪
الدال	٤	٨,٨٪
الميم	٣	٦,٦٪
الباء	٢	٤,٤٪
الطاء	٢	٤,٤٪
الظاء	١	٢,٢٪
الزاي	١	٢,٢٪

١ – ينظر: ابن منظور: لسان العرب،(ف ص ل) /ص ٣٤٢٢.

٢– الزركشـي البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضـل إبراهيم، دار التراث بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٤، ج١/٥٣.

ملحوظات حول البيان الإحصائي:

١-أن هذه الأصـــوات كلها جاءت مجهورة مما منحها قوة ووضـــوحًا في السمع، وإذا كان الوتران الصوتيان يهتزان حال النطق بها فإن هذا ما تخشع له أفئدة المتقين، وتضطرب به قلوب الكافرين.

٢-أن هذه الأصوات جميعها سبقت بحرفي المد (الياء أو الواو) وهذا أوحى بعنصرين من عناصر الإعجاز الصوتي في القرآن الأول: أنها أعطت النص نوعًا من التطريب والترديد الذي يشد الأذن لسماعه لطلاوته وامتداد الصوت به، وهذا ما نصّ عليه إمام النحاة فالترنم قرين المد لمد الصـــوت بالحرف (١)، والآخر: أنها أعطت النصَّ قوةً في الســمع لقوتها ووضــوحها، وهذا ما أكده د. إبراهيم أنيس بقوله" فصـــوت اللين بطبعه أوضـــح من الصـــوت الساكن"(٢).

٣-أن الفاصلة انتهت بصوت النون المسبوق بحرفي المد (الياء أو الواو) في اثنين وثلاثين موضعًا بنسبة ٧١,١٪ من جملة الأصوات ، وهي في هذا تنســـجم مع ما ألمح الزركشـــي إليه بكثرته في القرآن الكريم للتمكن من التطريب (٣)، ويتضح في الإعجاز الصوتي أن صوت النون المسبوق بالمد جاء في ســـورة الأعراف بالقصـــة كلها فهذه الكلمات هي مرتكز الفاصـــلة(مُّؤْمِنِينَ ،والْمُفْسِـدِينَ ،والْحَاكِمِينَ ،وكَارِهِينَ ،ولَخَاسِـرُونَ ،وجَاثِمِينَ

---

١ - ينظر: سيبويه الكتاب: ج ٢٠٤/٤، .

٢- الأصوات اللغوية ص٢٧. وينظر: الفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب دراسة إيقاعية دلالية، كتاب مؤتمر أســئلة البلاغة والدراســات البينية، ص ١١٥٢ وما بعدها

٣- ينظر: الزركشي البرهان في علوم القرآن ، ج٦٨/١.

،والْخَاسِرِينَ ،وكَافِرِينَ ،و يَضَّرَّعُونَ)(الأعراف ٨٥ :٩٤)، ومجيء صوت النون المسبوق بالمد نفسه بالسورة عينها في قصص الأقوام السابقة (قوم نوح، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط)([1]) ،ولم تخرج الفاصلة عن هذا النسق إلا بحرف الميم المسبوق بالمدِّ في قصة نوح بالآية التاسعة والخمسين، لكنه يقترب من النون في كونه من أشباه اللين وحرفًا أنفيًّا مجهورًا يهتز معه الوتران الصوتيان ، وهذا الاتساق الصوتي لكل هذه القصص حقق مقصدين ، الأول: دلالي أنه يوحي بوحدة المآل مع اختلاف الكيفية، فهلاك الكافرين قضاء إلهي لكل من خالف الرسل ، وهذا أوحى بالإعجاز القرآني لتكرار الصوت والآخر: صوتي فوحدة الأثر الصوتي الآخذ للنفس في نهاية الفاصلة، يجعل المستمع يتوقعه؛ فيأسر النفس بانسجامه الصوتي.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سورة الشعراء فيلاحظ أن الفاصلة بُنيت على صوتي أشباه اللين (النون والميم) المسبوقين بحرف المد فجاءت كلماتها (الْمُرْسَلِينَ، و تَتَّقُونَ ،و أَمِينٌ ، وَأَطِيعُونِ، و الْعَالَمِينَ ،و الْمُخْسِرِينَ، والْمُسْتَقِيمِ ،و مُفْسِدِينَ ،والْأَوَّلِينَ ،والْمُسَحَّرِينَ ،والْكَاذِبِينَ ،و الصَّادِقِينَ ،وتَعْمَلُونَ ،وعَظِيمٍ ،و مُؤْمِنِينَ ،والرَّحِيمُ ،و الْعَالَمِينَ ،والْأَمِينُ ،والْمُنْذِرِينَ ،ومُبِينٍ ،و الْأَوَّلِينَ "(٢) وورد الصوتان في السورة نفسها من الآية الثانية إلى الآية السابعة والعشرين بعد المائتين يدل على إعجاز القرآن الصوتي، فتشابه القصص القرآني في عبرته ونهايته وانسجامه صوتيًّا؛ يجعل النفس المؤمنة لا تنفك منه تلذذًا واتعاظًا، وفي الطرف الآخر يزلزل الكافرين بما علموا من الحق المبين.

---

١ – الأعراف من الآية ٥٩: ٩٤.

٢– الشعراء ١٧٦: ١٩٦ ، وينظر :السورة نفسها من الآية ٢ : ٢٢٧.

وتستمر أصوات الفاصلة في انسجامها الصوتي مع الدلالة التي تعبر عنها الآية التي تنتهي بها، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

أولًا: صوت الدال:

وهو صـوت يتصـف بالجهر والشـدة والاسـتفال والانفتاح ورد في أربعة مواضـع (١)، ومنه قوله سـبحانه:" إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِـيدُ"(٢) تأتي الجملة الاسـمية المنسـوخة على لسـان القوم؛ لتوحي بالاسـتهزاء من نبيهم عليه السلام، وهذا يتسق مع صوت الدال في صفاته فالجهر والشدة يوحيان بسوء الأدب ورفعهم أصـواتهم، وينسـجم الاسـتفال فيه مع اسـتفال قولهم، ويتسـق انفتاحه مع مفارقتهم الحق مع نبيهم عليه السلام.

ثانيًا صوت الميم:

صوت مجهور متوسط فيه الاستفال والانفتاح ورد في ثلاثة مواضع (٣) ومن أمثلة ذلك قوله جلّ شـأنه:" وَزِنُوا بِالْقِسْـطَاسِ الْمُسْـتَقِيمِ "(٤) إن الطلب بالأمر يوجب الالتزام بما دعا إليه سيدنا شُعيب عليه السلام قومه، ووصف القسـطاس بالمسـتقيم يتسـق مع العدل الذي يرجوه عليه السـلام، وانتهاء الفاصـلة بحرف الميم يتوافق في قوته مع مطلب العدل وبيانه للناس، أضـف إلى أنه ينسجم صوتيًّا مع صوت النون في الفاصلتين السابقة عليه واللاحقة له؛ لتقاربهما صوتيًّا (٥).

١- سورة هود ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٥.

٢ – هود من الآية ٨٧.

٣– الشعراء١٨٢، ١٨٩، ١٩١،

٤–الشعراء من الآية ١٨٢.

٥ – الفاصـلة القرآنية في صـورة الأحزاب دراسـة إيقاعية دلالية (كتاب مؤتمر البلاغة وأسئلة الدراسات البينية) ١١٥٣،

ثالثًا صوت الباء:

وهو صـــوت يجمع بين الجهر والشـــدة والاســـتفال والانفتاح ورد في موضعين ([1]) ومن أمثلة ذلك قول سبحانه:" وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ " ([2]) إن الفاصـلة في هذا السـياق تأتي معبرة عن سـلوك عملي لسـيدنا شُـعيب عليه الســـلام مع قومه، وهو ترقب العذاب، وصـــوت الباء يوحي بقوة المُنتظر وشدته، وفي استفاله وانفتاحه دلالة على لين سيدنا شُعيب عليه السلام مع قومه وحزنه؛ لما ينتظر القوم من عذاب لا راد له إلا بعبادة الله، والالتزام بما طلبه عليه السلام منهم.

رابعًا صوت الطاء:

ورد في موضـعين (٣)، وهو صـوت يتصـف بالجهر والشدة والاستعلاء والإطبـاق، ومن أمثلـة ذلـك قولـه تعـالى " وَإِنِّي أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ"(٤)، يوضح السياق تحذير سيدنا شُعيب عليه السلام قومه من عذاب وُصِف ب(محيط) وهذا دليل على هوله وشدته وإحاطته بمن ينزل به من كل جانب، وتنكير لفظ (محيط) يدل عمومه، وانتهاء الفاصـــلة بصـــوت الطاء يتسـق مع الدلالة التي يؤديها اللفظ، فهو صـوت يوحي بقوة العذاب وشـدته وعلوه وإطباقه بمن يقع عليه، وهذا يناسب العذاب في إحاطته بالكافرين.

---

[1] - هود ٨٨، ٩٣.

[2] - هود من الآية ٩٣.

٣ – سورة هود ٨٤، ٩٢

٤– هود من الآية ٨٤.

خامسًا: صوت الظاء:

وهو صوت مجهور رخو وفيه الاستعلاء والإطباق ورد في قوله تعالى :" وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ" (١) وفي هذا السياق ينطلق المسلك التعبيري من الجملة الاسمية المنفية التي تؤكد طبيعة رسالة سيدنا شُعيب عليه السلام فما عليه إلا البلاغ، فهو ليس حفيظًا على قومه فيما يفعلون، وليس مجازيهم إن أجرموا ، وأدى صوت الظاء في فاصلة الآية دوره الدلالي في بيان هذه المقصدية من السياق لينسجم؛ مع مرامه، فإذا كانت الأصوات ليست في درجة واحدة من القوة ،فإن اختيار حرف الظاء يناسب ما نفاه سيدنا شُعيب عليه السلام عن نفسه ؛لضعف حرف الظاء في الإطباق لرخاوته ، والاستعلاء في صوت الظاء يتسق مع استعلاء سيدنا شُعيب عليه السلام ؛لأنه غير مراقب للقوم، وإن ناسبت قوة الصوت في جهره ، قوة حجة نبيهم عليه السلام .

سادسًا: صوت الزاي:

وهو صوت يجمع بين الجهر والشدة والاستفال والانفتاح ورد في قوله تعالى " وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ "(٢) تأتي الجملة الاسمية المنفية على لسان القوم مؤكدة ثبات عنادهم وكرههم لنبيهم عليه السلام، واختيار حرف الزاي في فاصلة الآية يأتي تابعًا للمعنى فقوته وشدته تناسب ما جُبل عليه القوم من شدة وقسوة وعناد مع نبيهم عليه السلام، ويتوافق استفال الزاي وانفتاحه مع استفال القوم ومجافاتهم الحق.

١-هود من الآية ٨٦.

٢ - هود من الآية ٩١.

٣-الإيقاع الصوتي في المقاطع الصوتية:

المقطع اللغوي هو أقل وحدة نطقية للمتكلم ([1])، وفي العربية الفصـــحى خمسة مقاطع هي:"

١-مقطع قصير مفتوح =صامت +حركة قصيرة.

٢-مقطع طويل مفتوح =صامت+ حركة طويلة.

٣-مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة =صامت+ حركة قصيرة +صامت.

٤-مقطع طويل مغلق بحركة طويلة =صامت+ حركة طويلة +صامت.

٥-مقطع زائد في الطول =صامت+ حركة قصيرة +صامت+ صامت."([2])

ومن أمثلة المقطع الأول الشين من (شَكر) ورمزه (ص+ ح) ، ومن أمثلة المقطع الثاني (قا) من كلمة (قال) ورمزه (ص+ ح ح)، ومن أمثلة المقطع الثالث(لَمْ) ورمزه (ص +ح+ص)، ومن أمثلة المقطع الرابع كلمة (قَالْ) في حال الوقف عليها ورمزه (ص+ح ح+ص)، ومن أمثلة المقطع الخامس كلمة عقْدْ في حال الوقف عليها ورمزه (ص+ ح+ص+ص).

وذهب الأستاذ الدكتور تمام حسان إلى وجود مقطع سادس، ورَمَزَ له بـ (ع ص) ومثَّلَ له بأداة التعريف (أل) ([3])؛ إلا أن الباحث يميل إلى ما اختاره الأستاذ الدكتور أحمد كشك من رفض هذا المقطع؛ لأنه قائم على الافتراض،

---

[1] - من وظائف الصوت اللغوي، ص ١.٢٣

[2] - المدخل إلى علم اللغة، ص ١٠٢، وانظر الأصـــوات اللغوية ص ١٦٣، ومن وظائف الصوت اللغوي ص٢٥،٢.٢٤

[3] -ينظر: تمام. د. حسان: مناهج البحث في اللغة، ط١، ١٩٥٥م، ص١٤١.

وإن كاد يُقبل في العامية ([1])، وذهب الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل إلى وجود مقطع سادس بقوله " النوع السادس ويتكون من: صامت+ حركة طويلة +صامتين مثل–رجل ضالٌّ..."([2]) ويتضح أن هذا المقطع يكثر إذ كانت الكلمة منتهية بحرف مشدد مسبوق بمدٍّ ، وذلك في حال الوقف على الحرف المشدد نحو (وابّ من كلمة الدّوابُّ) ، وتظل المقاطع الخمسة الأولى الأكثر شيوعًا، وقد جاءت المقاطع الصوتية في قصتنا على النحو الآتي:

اسم السورة	رقم الآية	مقطع قصير مفتوح (ص+ ح)	مقطع طويل مفتوح (ص+ ح ح)	مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة ص + ح+ ص)	مقطع طويل مغلق بحركة طويلة (ص + ح ح+ ص)	المجموع
الأعراف	٨٥	٣١	١٦	٤١	١	٨٩
	٨٦	٣٣	١٠	٢٣	١	٦٧
	٨٧	٢٠	٩	١٧	١	٤٧
	٨٨	٢٩	١٢	١٧	١	٥٩
	٨٩	٣٣	٢٤	٣٤	١	٩٢
	٩٠	١٧	٤	١٢	١	٣٤
	٩١	١٠	٤	٤	١	١٩
	٩٢	١١	٩	١٢	١	٣٣
	٩٣	١٧	٩	١٥	١	٤٢

[1]–ينظر: كشك، د. أحمد: من وظائف الصوت اللغوي، ص ٢٤١

[2]-

	٩٤	١٠	٩	١٧	١	٣٧
هود	٨٤	٢٥	١٥	٢٤	١	٦٥
	٨٥	١٢	٩	١٥	١	٣٧
	٨٦	١١	٤	١١	١	٢٧
	٨٧	٢٤	١٣	١٤	١	٥٢
	٨٨	٣٩	١٨	٣٠	١	٨٨
	٨٩	١٨	١٠	٢١	١	٥٠
	٩٠	٨	٥	٩	١	٢٣
	٩١	٢٤	١٨	٩	١	٥٢
	٩٢	١٨	١٠	١٣	١	٤٢
	٩٣	٢٢	١٣	١٦	١	٥٢
	٩٤	٢٧	١٢	١٦	١	٥٦
	٩٥	٩	٥	٧	١	٢٢
الشعراء	١٧٦	٤	١	٦	١	١٢
	١٧٧	٥	٢	٥	١	١٣
	١٧٨	٣	٢	٣	١	٩
	١٧٩	٤	٢	٢	١	٩
	١٨٠	٩	٤	١١	١	٢٥
	١٨١	٥	٣	٥	١	١٤
	١٨٢	٣	٢	٤	١	١٠
	١٨٣	٧	٤	٩	١	٢١
	١٨٤	٨	١	٧	١	١٧

	١٨٥	٥	٣	٤	١	١٣
	١٨٦	١٢	٤	٧	١	٢٤
	١٨٧	١٠	٣	٨	١	٢٢
	١٨٨	٥	٣	٣	١	١٢
	١٨٩	١٦	٣	٨	١	٢٨
	١٩٠	١٠	٤	٦	١	٢١
	١٩١	٨	١	٤	١	١٤
	١٩٢	٦	٢	٤	١	١٣
	١٩٣	٥	٢	٣	١	١١
	١٩٤	٨	٢	٣	١	١٤
	١٩٥	٥	٢	٢	١	١٠
	١٩٦	٧	١	٣	١	١٢
العنكبوت	٣٦	١٥	٦	١٧	١	٣٩
	٣٧	١٣	٤	٦	١	٢٤
المجموع		٦٢١	٢٩٩	٥٠٧	٤٥	١٤٧٢

ملاحظات حول البيان الإحصائي للمقاطع الصوتية:

١-أن المقطع القصير المفتوح(ص+ح) كان أكثر المقاطع انتشارًا إذ إنه ورد في واحد وعشرين وستمائة موضعٍ، وأقلها انتشارًا هو المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة في حال الوقف (ص+ح ح+ص)، وقد ذُكِرَ في خمسة وأربعين موضعًا، ولم يرد المقطع الصوتي الزائد في الطول، ولم يرد المقطع السادس

الذي أشار إليه الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، وبهذا تتفق قصتنا مع ما شاع في اللسان العربي من استخدام المقاطع الثلاثة الأولى ([1]) .

٢-أن الفاصلة كلها في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام انتهت بالمقطع الطويل المغلق بحركة طويلة في حال الوقف (ص + ح ح + ص)، وهذا شكَّل النبرات الصوتية المتوازية التي أعطت جرسًا صوتيًّا واحدًا تألفه النفس مع نهاية كل آية، فتظل أسيرة سماعه لشدة وقعه وأثره عليها، وأن التلوينات الصوتية في النص القرآني أتت من المزج بين المقاطع الثلاثة الأولى داخل الآيات؛ لتتوافق صوتيًّا مع المرامي المقصودة في كل موضع، وبهذا يتعاضد المستويان الصوتيان الخارجي والداخلي لتقوية الدلالة والتأثير في المتلقي.

٣-أن المقاطع في سورة الشعراء اتسمت بقلة عددها في كل آية وتتابعها في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه، وفي خطاب قومه له؛ لقصر الآيات في السورة المكية، وهي في هذا تنسجم صوتيًّا مع مقاطع السورة كلها في كل قصص الأمم السابقة، وهذا يوحي باتساق الأصوات، ووحدتها فلا تملها النفس، عندما تنتقل من قصة إلى أخرى، ولعل هذا سر من أسرار إعجاز القرآن الصوتي، وتيسير ذكره.

٤- أن أكثر المقاطع شيوعًا جاءت في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه؛ لأنه في حجاجه لقومه ودعوته لهم كان يعتمد وسائل إقناع متعددة؛ لأنه مشغول بمعالجة ثلاثة أمور وجدها في قومه ، الأول : انحرافهم العقائدي، والثاني انحرافهم الاقتصادي، والأخير : بغيهم في الأرض؛ وللوصول إلى هذه المرامي نجد أسلوبه الخطابي ينسجم مع كل غاية رامها ،

---

١ - الأصوات اللغوية، ص ١٦٤.

مع مناسبته حال القوم ، فهو يجمع بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي ، ويعتمد الدليل ليقيم عليهم الحجة ،و يمزج بين الترغيب والترهيب بما يخدم دعوته ، ويؤدي التكرار دورًا مهمًا في حجاجه و إقناعه لقومه، وهو في كل هذا رحيم بهم مخلص في نصـــحه وراغب في نجاتهم، وفي مقابل هذا كله نجد المقاطع في خطاب القوم لنبيهم أقلَّ شـيوعًا؛ لأمرين الأول: أنهم راغبون عنه ورافضـــون دعوته ، والآخر :ضـــعف حجتهم أمام بلاغة نبيهم عليه السـلام وقوة حجته، واعتمادهم العبارة السـاخرة المتوعدة و الشـك في كل ما أتى به نبيهم ؛لجبروتهم وعنادهم واستكبارهم .

دلالات المقاطع الصوتية في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام:

تتسـق المقاطع الصـوتية مع دلالات السـياق القرآني في قصـة سـيدنا شُـعيب عليه السـلام بكل موضـع، وحقق ورودها قيمًا صـوتية تجعل المتلقي يظل قلبه معلقًا بالقرآن الكريم، وذلك على النحو الآتي:

أولًا–من دلالات المقاطع في خطاب سيدنا شُعيبٍ عليه السلام لقومه:

ومن أمثلة المقاطع في خطاب سـيدنا شُـعيب عليه السـلام لقومه ما جاء في الآية التاسـعة والثمانين من سـورة الأعراف، وجاء تقطيعها الصـوتي على النحو الآتي:" قَ/دِفْ/تَ/رَيْ/نَا /عَ/لَلْ / لَا / هِـــ/كَ/ذِ/بن/ إِنْ/ عُدْ/نَا/ فِي/ مِلْ/ لَ/تِ/كُمْ/ بَعْ/دَ /إِذْ/ نَجْ/جَا/نَلْ/ لَا/ هُـــــ/ مِنْ/هَا/ وَ/مَا /يَ/كُو/نُ / . لَ/نَا/ أَنْ/ نَ/عُو/دَ/ فِي/هَا/ إِلْ/لَا/ أَنْ/ يَ/شَـا/ءَلْ/لَا / هُـــــ/ رَبْ/بَ/نَا/ وَ/سِ/عَ/ رَبْ/بُ/ نَا/ كُلْ/ لَ/ شَـــيْ/ءنْ/ عِلْ/مًا/ عَ/لَلْ/لَ/ هِ/ تَ/وَكْ/ كَلْ/نَا/ رَبْ/بَ/نَفْ/تَحْ/ بَيْ/نَ/نَا/ وَ/بَيْ/نَ/ قَوْ/مِ/نَا/ بِلْ/حَقْ/قِ/ وَ/أَنْ/تَ

/خَيْ/رُلْ/فَا/ت /حِينْ "([1]) يتضح أن عدد المقاطع اثنان وتسعون مقطعًا، مكونة من ثلاثة وثلاثين مقطعًا قصيرًا مفتوحًا(ص +ح) ، وأربعة وعشرين مقطعًا طويلًا مفتوحًا (ص+ح ح)، وأربعة مقاطع طويلة مغلقة بحركة قصيرة(ص +ح +ص)، ومقطع طويل مغلق بحركة طويلة(ص +ح ح+ ص)، وهذا أكثر عدد مقاطع في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام ، وهذا يناسب أمرين الأول : رحابة صدر سيدنا شُعيب عليه السلام ، ولين جانبه ، وإخلاصه في دعوته، أما الآخر فهو الغاية في المحاورة وطبيعة السورة المدنية ؛ لأنها تسعى إلى أمرين الأول: رد حجج القوم في افترائهم على الله كذبًا، و إصرارهم على أن يردوا أتباعه إلى الكفر بعد أن هداهم إلى الإيمان ، وهو هنا يتكلم بحال من آمن من باب التغليب ، والآخر: تعليم أتباعه وغيرهم بعض صفات الله([2])، ومنها: إثبات علم الله الواسع، وأنه سبحانه هو الواحد، ولا يعتمد على سواه؛ لذا وجب التوكل عليه ، ثم هو يدعوه سبحانه أن يقضي بينه وبين قومه بالحق ؛لأنه الحكم العدل .

ثانيًا- من دلالات المقاطع في خطاب القوم لسيدنا شُعيبٍ عليه السلام:

ومن أمثلة المقاطع في خطاب القوم لنبيهم ما جاء في الآية التسعين من سورة الأعراف:" وَ/قَا/لَ لْ/مَ/لَ/أُلْ/لَ/ذِي/نَ /كَ/فَ/رُو/ مِنْ/ قَوْ/مِ/هِ/ لَ/ئِ/نِتْ/ تَ / بَعْ/تُمْ/ شُ/عَيْ/بَنْ/ إِنْ/نَ/كُمْ/ إِ/ذَنْ/لَ/ خَا/ سِ/رُون"(٣) يتبين أن عدد المقاطع أربعة وثلاثون مقطعًا مكونة من سبعة عشر مقطعًا قصيرًا مفتوحًا(ص +ح)، وأربعة مقاطع طويلة مفتوحة (ص+ ح ح)، واثني

---

[1] -الأعراف الآية: ٨٩.

[2]- ينظر: التحرير والتنوير ج١١/٩.

[3]- الأعراف الآية ٩٠.

عشــر مقطعًا طويلًا مغلقًا بحركة قصــيرة (ص +ح+ ص)، ومقطع طويل مغلق بحركـة طويلـة (ص +ح ح+ص)، ومع اتفاق هذه الآيـة مع الآيـة السـابقة في المقطع الأخير؛ إلا أن المقاطع المباشـرة بلسـان القوم لا تتجاوز ثمانية عشــر مقطعًا ؛وهي تكشــف بإيجازها فســاد اعتقادهم ؛لأنهم يطلقون أحكامهم المطلقة على سيدنا شُعيب عليه السلام ومن تبعه بالخسران ؛لأنها آمنوا برســالته، وأوفوا الكيل ولم يطففوا الميزان دون ســند يقيني يؤيدها؛ لهذا أتت المقاطع قليلة مختزلة تتسق مع عدم وجود الحجج .

المبحث الثاني: وظائف البنى الصــرفية في قصــة ســيدنا شُــعيب عليه السلام:

تعد دراسة التصريف أوجب لمعرفة النحو " لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصـــلًا لمعرفة حاله المتنقلة"([1])، وفي هذه الدراســـة يُعنى الباحث بدراسة صيغ الأفعال، والمشتقات في سياقاتها النصِّية للوقوف على دلالاتها في كشف طبيعة الحوار في قصتنا.

١-دلالة الأفعال:

يعد الفعل بأزمنته المختلفة وعاءً للأحداث، ومعبرًا عن العلاقة بين طرفي الحوار في قصتنا، ويمكن دراسته وفق المحورين الآتيين:

أ-الدلالة الزمنية للفعل:

[1]- ابن جني: المنصـــف، شـــرح كتاب التصـــريف لأبي عثمان المازني تحقيق الأســـتاذين: إبراهيم مصـــطفى، وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، ط١، ١٩٥٤ م، ١/٤. .

يقوم الفعل على دعامتين لا تنفصـــلان عنه هما الحدث والزمن، وعرفه ابن الســـراج بقوله " ما دل على معنى وزمان"([1])، وقد أتت الدلالة الزمنية للأفعال في القصة، وفق الجدول الآتي:

الفعل	عدد مرات وروده	نسبته المئوية
الماضي	٦٩	٥٠٪
المضارع	٤٩	٣٥,٥٪
الأمر	٢٠	١٤,٥٪

أهم ملحوظات الجدول الإحصائي ما يأتي:

أولًا: أن الأفعال الماضية ترددت بشكل مباشر في قصتنا تسعة وستين مرةً بنسبة ٥٠٪ ، و تسلط الفعل الماضي (قال) على الأفعال المضارعة والأمر، يؤكد أمرين الأول: أنه جرَّ هذه الأفعال نحو الماضـــي؛ لأنها تعبر عن أحداث بالفعل وقعت ،والآخر: الطبيعة الســردية للنص القرآني وغلبة الحوار عليه ويزداد الأمر بيانًا إذا علمنا أنه تراكم في أربعة عشـــر موضـــعًا من القصـــة ؛ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُـــعيبًا فَقَالَ إلى قوله ســـبحانه مُفْسِـــدِينَ(٣٦)([2]) فهنا على الرُّغْم من أن الأفعال (اعْبُدُوا ، وَارْجُو ، و لَا تَعْثَوْا) تدل على المســتقبل ؛لكن وقوعها في حيز الفعل (قَالَ)

[1]- ابن السراج: الأصول في النحو، ت د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٣/١٩٩٦م، ج١/٣٨.

[2] - العنكبوت: الآية :٣٦.

حقق دلالتين الأولى : التعبير عن التحول الزمني لهذه الأفعال من المستقبل إلى الماضي ،أما الأخرى: فهي الطبيعة القصصية القائمة على الحوار، وقد جاءت الأفعال مُرَتَّبةً، و يُفضِـــي بعضـــها إلى بعضٍ؛ فالفعل (اعْبُدُوا) أمر بعبادة الله وطاعته؛ لأنه عماد كلِّ عمل ، وهذا حاصـــل في الدنيا، والفعل (وَارْجُو) يوحي بالعبادة والجزاء عنها وهذا متعلق باليوم الآخر ؛ مما يجعل الأمر خالصًـــا لله وحده ابتداءً وانتهاءً ، ثم يأتي الفعل(وَ لَا تَعْثَوْا) للنهي عن الفساد في الأرض .

ثانيًا: أن فعل الأمر (اعْبُدُوا) يمثل ملمحًا أسـلوبيًّا ومرتكزًا ضـوئيًّا لقصـتنا؛ لأنه ورد في بداية كل قول لسيدنا شُعيب عليه السلام وجهه إلى قومه؛ ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه:" قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ" (١)؛ لأن توحيد الله كما يقول المفســـرون" ملاك الأمر " (٢)؛ من هنا فإن اســـتقامة القلب لله والإقرار بوحدانيته، تسهل الاستجابة لكل طلب؛ لذا بدأ سيدنا شُعيب عليه السلام بأمرهم بعبادة الله.

ثالثًا: غلبة أفعال الأمر وأفعال المضـارع المنهية في خطاب سـيدنا شُـعيب عليه السلام لقومه ومجيئها في ثلاثين موضعًا بنسبة ٢٢٪ من جملة الأفعال ؛ لأنه شُـــغِل بهداية قومه إلى الحق ، و تقويم انحرافاتهم ، وأن الأفعال المضـارعة جاءت محاصـرة بين الأمر بداية ونهاية ومن ذلك قوله تعالى:"

١- الأعراف من الآية: ٨٥، وينظر: سورة هود الآية ٨٤، وسورة العنكبوت الآية ٣٦.

٢ -البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشـــي دار الكتب العربية الكبرى ، ط٦ ،د ت ، ج١١٧/٣، وينظر : الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر -بيروت – ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ج١٨٠/١٤،

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إلى قوله جلَّ شـــأنه الْأَوَّلِينَ (١٨٤) "(١) ذُكِرت في الآيات الأفعال" فَاتَّقُوا، وَأَطِيعُونِ ، وَمَا أَسْـأَلُكُمْ ، و أَوْفُوا ، وَلَا تَكُونُوا، وَزِنُوا ، وَلَا تَبْخَسُوا ،وَلَا تَعْثَوْا ، وَاتَّقُوا " وجاء فعلا الأمر (فَاتَّقُوا، وَاتَّقُوا) لطلب تقوى الله في أول الكلام وفي آخره ، إذ إن تقوى الله هي الأهم والأولى، وورد الأمر بها للتأكيد وإقرارها في النفس ؛ولأنها عماد الأمر كله، والدافعة لكل خير ومحركة له.

رابعًا: أن الأفعال المضارعة والماضية أتت بنسبة متساوية في خطاب القوم لنبيهم، فقد ورد كلٌّ منهما في أحد عشر موضعًا، ومن أمثلة ذلك قوله جلَّ شأنه: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا "(٢)، فالأفعال (مَا نَفْقَهُ، ومِمَّا تَقُولُ، ولَنَرَاكَ) في السياق تجمع بين النقيضين في السلوك الفعلي للقوم، و وتؤكد صدهم المتجدد والمستمر عن نبيهم ، وتمثل ذلك في أمرين : الأول سلب العلم والفهم بحقيقة ما جاء به نبيهم، وما يقوله، مع وضوحه وصدق بيانه، وأما الآخر: فهو إثبات ضعفه سخريةً منه، فهم يرون أنه لا يستطيع رد مكروه أرادوه به(٣) .

---

١ – الشعراء من الآية ١٧٩: ١٨٤.

٢–هود: من الآية :٩١.

٣ – ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت عادل أحمد عبدالجواد ، وعلي محمد معوَّض ، فتحي أحمد حجازي مكتبة العبيكان ، ط١،١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ج٣/٢٣٠.

خامسًـــا: أن فعل الأمر ذُكِر في خطاب القوم لنبيهم مرة واحدة في قوله سبحانه:" فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ "(١٨٧) ([1])، فالطلب هنا بالفعل (فَأَسْقِطْ) كما يقول ابن عاشور " أَمْرُ تَعْجِيزٍ" ([2])؛ وهو يوحي بأنه لا أمل في دعوتهم إلى الحق؛ لإصـــرارهم على الكفر وفســـادهم، ومن ناحية أخرى يكشـــف عن أيس القوم من دعوة نبيهم، ورده وأتباعه إلى ملتهم؛ لذا خاضـوا الصـراع الأخير بطلب العذاب؛ لشكهم في حدوثه، فكان عقابهم من جنس ما طلبوا مصداقًا لقوله سبحانه " فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ"(٣).

ب–دلالة الأفعال المزيدة:

أقر النحاة أن زيادة المبنى دليل زيادة المعنى، يقول ابن جني " فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به"([4])، وتأتي الأفعال المزيدة في قصـــتنا بأوزانها لتحمل دلالات يؤديها السياق، على النحو الآتي:

الوزن	عدد مرات وروده	نسبته المئوية
أَفْعَلَ	١٠	٢٩.٤٪
فاعَلَ	١	٢.٩٪
فَعَّل	١١	٣٢.٤٪
افْتَعَلَ	٦	١٧.٧٪

١ – سورة الشعراء الآية ١٨٧.

٢– التحرير والتنوير ج١٩/ ١٨٧.

٣– سورة الشعراء من الآية ١٨٩.

٤ – الخصائص: ج ٢٦٨/٣.

تفعَّل	٣	٨.٨٪
اسْتَفْعَلَ	٣	٨.٨٪

ملحوظات الجدول الإحصائي ما يأتي:

أ-أن عدد الأفعال المزيدة في قصتنا أربعة وثلاثون فعلًا بنسبة ٢٤.٦٪ من جملة الأفعال ، وأن أكثر الأوزان انتشارًا هو وزن (فَعَّل) إذ إنه ورد في أحد عشر موضعًا، ولم يخرج عن معنيين الأول : المبالغة والتكثير وذلك في تسعة مواضع([1])، ورد الفعل (كذّب) في خمسة منها، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه: " الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا إلى قوله تعالى الْخَاسِرِينَ "([2]) إن مجيء الفعل (كذّب) على وزن (فعَّل) يوحي بالمبالغة والتكثير في فعل الكذب، والإصرار على ارتكابه مرة بعد مرة ، وهذا ما أكده إمام النحاة بقوله " فَإِذا أَردَت كثرةَ العَملِ قلتَ: كَسَّرتُها"([3])، فالتكثير ملازم لهذا البناء غالبًا ([4])، ومجيء الفعل (كذّب) في الآية مرتين صلة للموصول يدل على المبالغة وتوكيد ذم القوم

[1]- الأعراف الآية: ٩٢، وينظر: الفعل كذَّب في الشعراء: الآية ١٧٦، والآية ١٨٩، العنكبوت الآية٣٧، والدلالة عينها أفادتها الأفعال (يَضَّرَّعُونَ الأعراف من الآية ٩٤، و فَكَثَّرَكُم الأعراف من الآية :٨٦، و تَوَكَّلْنَا الأعراف من الآية ٨٩، و تَوَكَّلْتُ هود من الآية ٨٨) .

[2]- الأعراف الآية :٩٢

[3]- الأصول في النحو: ج١٢١/٣.

[4] - ينظر : الرضي الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، تحقيق الأساتذة محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،١٩٨٢م، ج٩٢/١.

وتوبيخهم ؛لعظم فعلهم وهوله؛ لذا اســـتحقوا الخســـران، و ما نزل بهم من العذاب. ([1])

أمـا المعنى الآخر: فهو الـدلالـة على التعـديـة ([2]) ، وقـد ورد في موضـعين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:" وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُـعَيْبًا "(٣)، يلاحظ أن الفعل (نجـا) في صـــيغتـه المجردة غيرُ متعدٍ، وزيـادة المبنى بتضعيف عينه عدَّته إلى مفعول واحد، والفعل في هذا السياق يوحي بأمرين الأول: قدرة الله عز وجل، ونفاذها، وأكد ذلك استخدام الفعل بصيغة الماضي المســند إلى (نا) العظمة ؛ أما الآخر: فهو بيان رحمة الله وفضـــله ونعمته على سيدنا شُعيب عليه السلام ومن تبعه، وأن الله منجيهم جزاء إيمانهم ،إذ إن سيدنا شعيب عليه السلام ومن آمن معه ، لم يمسهم أي لون من ألوان عذاب الصـيحة الذي تمثل في : الصـوت وما صـاحبه من خوف وهلع ثم الموت جاثمين على ركبهم ([4]) ،فالإنجاء هنا يعني النجاة من كل هذه المراحل متحدة، ولو تم إنجاؤهم من الموت –مثلًا– فقط ، مع أصـــابتهم بالصـوت والخوف لكان إنجاء أيضًـا ، أو من الخوف والموت ، مع سـماع الصـــوت ، لكان إنجاء كذلك ، ولكن ما تم هو إنجاؤهم من كل هذا، حتى وإن كانوا قد سمعوا الصوت، لم يضرهم بشدته. والله أعلم بمراده.

---

[1] –ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب ج١٤/ ١٩٠

[2] – ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ج٩٣/١.

[3]– هود من الآية :٩٤، ينظر: الفعل نجَّانا في سورة الأعراف من الآية ٨٩.

[4]– ينظر : الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، ومكتبة ابن تيمية ، ط٢، د. ت ،ج٤٦٤/١٥. .

ب–أن وزن (أفعل) ورد في عشـــرة مواضـــع، وتعددت دلالاته على النحو الآتي:

أولًا: للدلالة على الدخول في زمن الصـــباح أو بلوغه ([1])، وقد ورد هذا في ثلاثة مواضـــع، ومنه قوله عزّ وجلّ "فَأَصْـــبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"([2]) إن السياق يوحي بنهاية مؤلمة للمستكبرين من قوم سيدنا شُعيب عليه السلام، فإذا كان زمن الصـــباح يحمل الإشـــراق والأمل، فإنه لهؤلاء القوم حمل الألم والموت، وفي مقابل هذا كان الصـــباح يمثل تجدد الأمل وحياة المؤمنين من أتباع سيدنا شُعيب عليه السلام.

ثانيًا: الدلالة على التعدية و " إغنائه عن ثلاثي"([3]) وقد ورد هذا في موضعين ([4])، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه" وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آَمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"([5]) في هذه السياق يأتي الفعل (أُرْسِلْتُ) المبني للمجهول بمعنى الفعل (بُعِثْتُ) بدلًا من مجرده المزيد بالهمزة (رسل) لكثرة الاستخدام، وبناء الفعل للمجهول في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه يوحي بصدق رسالته، وما دعا إليه القوم؛ لأنه مُرسل من رب العالمين، وهذا يدحض كلَّ افتراء وشك ادعاه القوم.

---

[1]– ينظر : ابن مالك : شـــرح تســـهيل الفوائد، تحقيق د. عبد الرحمن الســـيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،ط١، ١٤١٠هـــ – ١٩٩٠مهـ، ٣/٤٥٠.

[2] –الأعراف من الآية ٩١، وينظر :هود الآية :٩٤، والعنكبوت الآية :٣٧.

[3] – شرح تسهيل الفوائد، ج٣/٤٥٠.

[4]– الأعراف من الآيتين ٨٧، ٩٣.

[5] –الأعراف من الآية :٨٧.

ثالثًا: الدلالة على " موافقته الثلاثي "([1]) وورد ذلك في خمسة مواضع ([2])، في قوله سبحانه:" وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"([3])، فالفعل أناب بمعنى الثلاثي منه ناب، أي رجع، وتقديم الجار والمجرور (إليه) حقق مقصدية دلالية تمثلت في تخصيص الله عز وجل بالرجوع إليه، فلا ملجأ من الله إلا إليه.

ومنه قوله تعالى " إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ"([4])، وورد الفعل(أَرَادَ) مرتين بمعنى (راد) في الآية، لتوكيد رغبة سيدنا شُعيب عليه السلام المخلصة في نجاة قومه، وزاد من بيان هذا الجمع بين النقيضين أولهما: سلب المشاركة عن سيدنا شُعيب عليه السلام في فعل ما دعا القوم إلى تركه، والآخر: إثبات غايته الإصلاحية من دعوته، أضف إلى أن دلالة الفعل (أراد) تحمل زيادة في المعنى من الإصرار والعزيمة والصدق والثبات فيما عزم عليه سيدنا شُعيب عليه السلام من تخليص قومه مما وقعوا فيه من الآثام.

ج-أن أقل الأفعال المزيدة انتشارًا جاءت بوزن (فاعَلَ) وورد هذا في موضع واحد، هو قوله جلَّ شأنه" وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ"(٥)، فالفعل (أُخَالِفَكُمْ) يوحي بالمشاركة السلبية ([6])؛ تنزيهًا لنبي الله سيدنا شُعيب

---

[1]- شرح تسهيل الفوائد، ج٣/٤٥٠ .

[2]- هود الآية : ٨٨ والآية ٩٠، الفعل أصاب. ، والأعراف الآية ٩٣ ، الفعل : أبلغكم

[3]- هود من الآية :٨٨.

[4] - هود من الآية ٨٨.

[5] -هود من الآية: ٨٨. .

[6] - ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ج١/٩٧.

عليه السلام، كما رأى الإمام الشوكاني ([1])، فهو لم يقصد فِعل ما نهى قومه عنه من تطفيف ونحوه، وإنما دفعهم بعيدًا عن هذه المفاسد؛ لينجوا من العذاب.

د–أن وزن (افْتَعَل) ورد ست مرات، وجاءت دلالته على النحو الآتي:

أولًا: "أن يأتي للاتخاذ "([2]) وقد ورد في موضعين ([3])، ومن أمثلته قوله عزّ وجل:" فَاتَّقُوا اللَّهَ. وَأَطِيعُونِ "([4]) إن سيدنا شُعيبًا عليه السلام في أمره قومه باتخاذ تقوى الله وقاية ناصح أمين محب لهم راغب في فوزهم برضا الله حريص على نجاتهم من عذابه؛ لأن تقوى الله أساس الخير، فمن اتقى الله خافه وأطاعه، واجتنب معصيته.

ثانيًا: أن يأتي بمعنى المجرد منه ([5]) مع زيادة المعنى وتكثيفه أكثر من مجرده، وذلك في ثلاثة مواضع ([6]) ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه:" وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ"([7]) في هذه الآية أتى الفعل (وَارْتَقِبُوا) في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه بمعنى الفعل الثلاثي المجرد (رقب)مع المبالغة في

---

[1] – ينظر: الشوكاني: فتح القدير: ج٦٧٢/١٢.

[2] – شرح شافية ابن الحاجب ج١٠٨/١، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن، القسم الثاني ج١/ ٥٠٩.

[3]–الشعراء الآيتان ١٧٩، ١٨٤.

[4]– الشعراء من الآية :١٧٩.

[5]– ينظر: الكتاب ج٧٤/٤ ودراسات لأسلوب القرآن، القسم الثاني ج١/ ٥٢٠– ٥٢١ .

[6]– الأعراف: ٩٠، و هود: ٩٢، ٩٣.

[7]– هود من الآية: ٩٣.

طلبه انتظار نزول العذاب بالقوم؛ إذ إن سيدنا شُعيبًا عليه السلام أيس من توحيدهم واستجابتهم لما دعاهم له، فاستحقوا العذاب.

ثالثًا: أن يأتي للدلالة على " التصرف والطلب "([1]) وقد ورد هذا في موضع واحد هو قوله سبحانه:" قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا"([2]) إن السياق في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه ينفي عنه ومن اتبعه من المؤمنين أن يكونوا قد اجتهدوا في اختلاق الكذب وطلبه على الله عز وجلَّ إن عادوا إلى الكفر، وزاد من توكيد هذا النفي مجيء الشرط بـ (إن) في قوله عز وجل " إِنْ عُدْنَا"، لدلالته على الاحتمال والشك، ثم قوله نافيًا بعد هذا:" وَمَا يَكُونُ لَنَا".

هـــــ–أن وزن (تفعَّل) ورد في ثلاثة مواضع؛ للدلالة على أمرين الأول: "التجنب"(٣) وهذا في موضع واحد، هو قوله جلَّ شأنه:" فَتَوَلَّى عَنْهُمْ"(٤) يدل الفعل (فَتَوَلَّى) على إعراض سيدنا شُعيب عليه السلام عن قومه حزينًا لمّا رأى نزول العذاب بهم، وموتهم جاثمين؛ لكنه أَنكر حزنه عليهم؛ لأنه أبلغهم رسالات ربه، وهذا الفعل الوحيد في قصتنا الذي عبر عن حدث فعلي سلبي لسيدنا شُعيب عليه السلام تُجاه قومه.

الآخر: الدلالة على " التكلّف "([5]) وهذا في موضعين، ومن ذلك قوله سبحانه:" عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ"([6]) فلفظ (تَوَكَّلْتُ) يوحي بتكلف الاعتماد على الله عزَّ

---

[1]– الكتاب ج٤/٧٤.

[2] – الأعراف من الآية :٨٩.

[3]– شرح شافية ابن الحاجب ج١/ ١٠٥. .

[4] –الأعراف من الآية :٩٣.

[5]–شرح شافية ابن الحاجب ج١/١٠٤.

[6] –هود من الآية : ٨٨، وينظر الأعراف الآية : ٨٩

وجلَّ في عليائه وطلبه رغبة وحبًّا، وهذا يعني حب سيدنا شعيب وتمتعه بالتوكل على الله واطمئنانه، وشدة ثقته في المتوكَّل عليه وهو (الله) جل في علاه، وزاد من توكيد ذلك تقديم الجار والمجرور (عليه)؛ لإفادة اختصاص الله بالتوكل عليه.

و–أن وزن (استفعل) ورد ثلاث مرات ([1])، وجاءت دلالته على النحو الآتي أولًا: "طلب الفعل" ([2]) في موضع واحد، هو قوله سبحانه " وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ "([3]) فالسياق يوحي بطلب سيدنا شُعيب عليه السلام من قومه أن يستغفروا الله عزَّ وجل؛ لأن ما وقعوا فيه من عبادة الأوثان يستوجب طلب المغفرة قولًا وفعلًا، وإضافة ضميرهم إلى (ربّ) يوحي بالرحمة والود والأمل الذي لازم نبيهم، ورغبته في إيمانهم؛ فالله عز وجل هو ربهم مع كفرهم.

ثانيًا: ويحتمل بناء استفعل دلالة التفعَّل؛ تكلُّفًا ([4]) في موضع واحد، هو قوله جلّ شأنه:" قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ "([5]) إن وصف قوم سيدنا شُعيب عليه السلام بقوله (اسْتَكْبَرُوا) يوحي بالتكبّر؛ لاتساقه مع ما

---

[1]– الأعراف الآية: ٨٨ (الفعل : اسْتَكْبَرُوا) و هود الآية : ٨٨ (الفعل: اسْتَطَعْتُ)، والآية :٩٠(الفعل : وَاسْتَغْفِرُوا).

[2]– ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، ج١٦١/٧.، وينظر عضيمة: د. محمد عبدالخالق : دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث القسم الثاني ج١/ ٦٨٣ .

[3]– هود من الآية :٩٠.

[4] – شرح المفصل ج١٦١/٧.

[5]– الأعراف من الآية: ٨٨.

أقدموا عليه من قوة وبطش في تعاملهم مع ســيدنا شُــعيب عليه الســلام؛ لإخراجه ومن آمن بدعوته من ديارهم، أو إجبارهم على ترك التوحيد ([1]).

ثالثًا: يأتي بناء اســتفعل للدلالة على القدرة في موضــع واحد، هو قوله سبحانه " إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ"([2])، يأتي البناء اللغوي؛ ليؤكد بالنفي والاستثناء مقصدية سيدنا شُعيب عليه السلام من دعوته، وهي الإصلاح ما استطاعه، من هنا سمت غايته فوق كلِّ شكٍّ جاء به القوم.

٢-دلالة أبنية المشتقات:

يعد الاشــتقاق مما امتازت به لغتنا وســبيل ثرائها واســتمراريتها، وقد حفلت قصــتنا بأبنية المشــتقات، ويمكن بيان دورها في الحوار من خلال الجدول الآتي:

نوع المشتق	عدد مرات وروده	نسبته المئوية
اسم الفاعل	٢٥	٪٤٣.٩
صيغ المبالغة	٣	٪٥.٣
اسم المفعول	٢	٪٣.٥
الصفة المشبهة	١٢	% ٢١
اسم التفضيل	٧	٪١٤
اسم الآلة	٨	٪١٢.٣

[1] – ينظر: التحرير والتنوير ٥/٩.

[2] – هود من الآية :٧٥.

ملحوظات الجدول الإحصائي:

أولًا: أن أبنية المشتقات وردت في سبعة وخمسين موضعًا، ويمثل اسم الفاعل أكثرها ورودًا، إذ إنه ذكر في خمسة وعشرين موضعًا بنسبة ٤٥.٥٪، وكان بناؤه من الثلاثي في اثني عشر موضعًا، ومن غيره في ثلاثة عشر موضعًا، واستعمل النصُّ القرآني اسم الفاعل بصيغة جمع المذكر السالم في عشرين موضعًا، وفي خمسة مواضع بصيغة المفرد، فإذا كان اسم الفاعل هو " ما دل على الحدث والحدوث و فاعله"(١) فإن دلالاته في قصتنا جاءت متنوعة؛ لتكشف عن بعض صفات الله، أو ما تعلق بالقوم من صفات أو ما اتصف به نبيهم عليه السلام ومن تبعه؛ لسببين الأول: دلالاتها الكامنة في مبانيها الصرفية وما تحمله من طاقات تعبيرية، والسبب الآخر: يعود إلى إمكانية تبادلها من سياق إلى آخر وفق الغرض ، ومن أمثلة اسم الفاعل الثلاثي ما جاء في خطاب القوم لنبيهم قوله جلَّ شأنه :" إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ"(٢) في هذا السياق يأتي اتهام القوم لسيدنا شُعيب عليه السلام ومن تبعه بالخسران ؛ ولتوكيد هذا الظن جاء اختيار الجملة الاسمية المنسوخة؛ ليوحي بثبات الخسران وملازمته لسيدنا شُعيب عليه السلام ومن تبعه كما اعتقدوا، وزاد من توكيد ذلك (اللام)، واختيار اسم الفاعل (لَخَاسِرُونَ) من الثلاثي (خسر) بدلًا من قولهم (يخسرون)؛ للدلالة على

١- ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ،ت محمد محيي الدين عبدالحميد ، ادار الفكر د.ت. ج٣/٢١٦

٢ – الأعراف من الآية: ٩٠

دوام الخسران وحدوثه، ولكنه لا يرقى إلى الصفة المشبهة في ثباتها([1]) ، كما يدل على ذات الفاعل وهو سيدنا شُعيب عليه السلام وأتباعه .

وفي مقابل هذا يُذكَرُ اســـم الفاعل (خَاسِـــرُونَ) في إخبار الله عن قوم سيدنا شُعيب عليه السلام في قوله سبحانه: "كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ"([2]) ليوحي بثبات الخسران وملازمته لفاعله وهم القوم، لكذبهم وكفرهم بما أتى به نبيهم، وزاد من توكيد ذلك التعبير بالفعل الماضـــي (كَانُوا)، وهذا ينســـجم مع ثبات خسران القوم الكافرين؛ لأن الله عز وجل أهلكهم كما وضـحه قوله سبحانه:" فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْـــبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"([3])، كما أن من آليات التوكيد استخدام ضمير الفصل (هم) ، وكذلك تعريف الخاسرين بالألف واللام الذي يدل على تحديد القوم واختصاصهم بالخسران ، في حين ورد اسم الفاعل في خطابهم (خاسرون) في صيغة التنكير مما يدل على ضعفه.

ومن أمثلة اسم الفاعل غير الثلاثي ذُكِر دال (مُفْسِدِينَ) أربع مرات ([4]) في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه، ومن ذلك قوله سبحانه:" وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِـــدِينَ"([5]) في هذا الســياق يأتي التعبير باســم الفاعل (مُفْسِـدِينَ) عدولًا عن المصـدر (فسـادًا) ليوحي برغبة سـيدنا شُـعيب عليه السلام في انتهاء قومه عن الفساد في الأرض، ؛ و التعبير بالمصدر سيوحي

---

[1]- الســامرائي: د. فاضــل صــالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط٢، ٢٠٠٧م ، ص٤٢

[2]- الأعراف من الآية ٩٢.

[3]-الأعراف من الآية ٩١

[4]- الأعراف ٨٦، وهود ٨٥، الشعراء ١٨٣، والعنكبوت :٣٦.

[5]-هود من الآية ٩١

بثبات الصـــفة للموصـــوف، وفي هذا يقول خالد الأزهري " إذا أردت ثبوت الوصـف قلت: حسـن ولا تقول: حاسـن..."([1]) ، والتعبير باسـم الفاعل يوحي بعدم الملازمة لهذا الفعل، وأن الإفســـاد في الأرض أمر عارض فيهم، وهذا يكشف عن حُسن مراجعة سيدنا شُعيب عليه السلام قومه([2]).

ثانيًا–أن صـيغ المبالغة ذُكِرَت في ثلاثة مواضـع ([3])، بوزني (فَعِيل وفَعُول) وكلها متعلقة بذات الله ؛لذا فإن المبالغة لتكثير التعلق ، ومن هنا فهي تتجه " إلى المُتعلّقِ" كما قال الزركشـي ([4])، وهذا ما أكده الزمخشـري في تفسـير المبـالغـة في دال (التَّوَاب) وفســـرهـا بكثرة مَنْ يتوب، أو لأن الله بليغ في قبولها([5]) ، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه:" إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ "(٦) ؛ لتكشـفا عن ديمومة رحمة سيدنا شُعيب عليه السلام بقومه مع كفرهم ؛ فخطابه لقومه يقرب القلوب العاصـية القاسـية ، ويكسـر خوفها مما وقعت فيه من الآثام ، وزاد من توكيد هذا التعبير بالجملة الاسـمية المنسـوخة التي تدل على الثبات والملازمة ، ومجيء الخبر بصـفتين من صـفات الله عزَّ وجلَّ؛ تدفعان الشر الأولى: رحيم بوزن فعيل للتكثير والمبـالغـة " وهو في المُبـالَغَـة يـدل على

---

[1]– الأزهري: خالد: شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشية العلامة يس بن زين الدين، ط دار الاستقامة، ط١، ١٣٧٤هـ –١٩٥٤م ، ج٢ /٨٢.

[2]– ينظر: مفاتيح الغيب ج١٨/٤٣.

[3] هود ٩٠، والشعراء ١٩١.

[4]–الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج٢/٥٠٨.

[5]–وينظر: الكشاف ج٥/ ٥٨٤. في تفسير لفظ (توَّاب) بسورة الحجرات

[6] هود من الآية :٩٠

معـانـاة الأمر و تكراره"([1]) ، من هنـا فبـاب التوبـة مفتوح لعظم رحمـة الله بعباده؛ ، أما الصـفة الأخرى: فهي (ودود) ومع ما أقره إمام النحاة في هذا الوزن من المبالغة ([2]) فإن فعول أتى بمعنى فاعل([3]) ، وهذا يوحي بالمحبة العظيمة الدائمة ، فالله عزل وجل مُحِبٌّ وادٌّ لعباده التائبين([4]).

ثالثًا–أن اسـم المفعول ذُكِرَ في موضـعين من غير الثلاثي ([5]) ومن أمثلته قوله سـبحانه " إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَـحَّرِينَ"([6]) يأتي اسـم المفعول (الْمُسَـحَّرِينَ) ليحقق غايتين الأولى دلالية ؛ وهي توكيد أن الشـــك ملمح أثير للقوم في خطابهم لنبيهم؛ لظنهم أن سـيدنا شُـعيبًا عليه السـلام مسـحور، وأكد ذلك الجملة الاسمية المؤكدة بـــ(إنما)، وهم في هذا لا يخرجون عما ذهبت إليه الأمم السـابقة، وهذا يؤدي دوره في التسـلية عن نبينا محمد صـلى الله عليه وسلم ، أما الأخرى: فهي صوتية ؛لتوافق نهاية الفاصلة مع نهايتي الفاصلة في الآيتين السابقة واللاحقة ، وبهذا تُؤثَر النفس لوحدة الصوت في نهاية كل آية .

---

[1]–معاني الأبنية، ص١٠٢.

[2]–ينظر: الكتاب ج١/١١٠.

[3]ينظر: شـرح المفصـل ج٣/٥٥ و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسـير، اعتنى به وراجع أصـوله يوسـف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط٤ ،١٤٢٨هـ –٢٠٠٧ م ، ج١٢/٦٧١.

[4]– ينظر: فتح القدير: ج١٢/٦٧١.

[5]– الشعراء ١٧٦، ١٨٥.

[6] –الشعراء ١٨٥.

رابعًا–أن الصفة المشبهة ذُكِرت في اثني عشر موضعًا ([1])، ودلالاتها على النحو الآتي:

أ–الدلالة على الثبوت: وهذه سمة مميزة للصفة المشبهة و**قال ابن فارس:**" وتكون الصفات اللازمة للنفوس على(فَعيل) "(٢). وقد تردد هذا المعنى في تسعة مواضع، وجاءت كلها بوزن (فَعِيل)، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه:" وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا إلى قوله جلَّ شأنه بِعَزِيزٍ "([3]) تأتي الصفة المشبهة في خطاب القوم نبيهم عليه السلام ؛ لتدل على صفتين متقابلتين ومجتمعتين في نبيهم ظنًا منهم الأولى: إثبات الضعف لسيدنا شُعيب عليه السلام، وأكد ذلك الجملة الاسمية المنسوخة، وتقديم الجار والمجرور (فينا) على المفعول الثاني (ضَعِيفًا) للتخصيص، و أما الصفة الأخرى: فهي سلب العزة عنه صلى الله عليه وسلم، وأكد هذا الجملة الاسمية المنفية التي توحي بالثبات، وتقديم الجار والمجرور(عَلَيْنَا) على الخبر للتخصيص ، وزيادة الباء في الخبر للتوكيد.

---

[1]– الأعراف ٨٦، وهود ٨٦، ٨٧، ٨٩ ، ٩١، ٩٣ ، و الشعراء ١٧٨ ، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣.

[2] –أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، ص١٧١.

[3]–هود من الآية ٩١.

ب–فعيل بمعنى فاعل ([1])، وقد ورد ذلك في موضع واحد هو قوله عزَّ وجل " إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ"([2]) في هذا السياق تأتي الصفة المشبهة (رَقِيبٌ) في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام بمعنى (راقب) ([3])، والعدول عن اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة أبلغ في التعبير عن ملازمة سيدنا شُعيب عليه السلام الترقب لنزول العذاب بالكافرين، وزاد من توكيد ذلك الجملة الاسمية المنسوخة، وهذا لا يفيده التعبير باسم الفاعل (راقب) إذ إنه يدل على حدث الترقب وفاعله لكن الثبات فيه لا يرقى إلى الصفة المشبهة.

ج–فعيل بمعنى مفعول([4])، وقد ورد ذلك في موضعين ([5])، ومنه قوله سبحانه" إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ " ([6]) إن سيدنا شُعيبًا عليه السلام في خطابه لقومه يؤكد أنه مُؤْتَمَنٌ على رسالته من ربه وعلى قومه، وتؤدي التراكيب اللغوية والبنية الصرفية دورها في بيان هذا، فتركيبيًّا تأتي الجملة الاسمية المنسوخة؛ لتؤكد هذا ، وتقديم الجار والمجرور(لَكُمْ) فاصلًا بين اسم إن وخبرها للتخصيص ،ثم تأتي الصفة المشبهة (أَمِينٌ)(أي: مُؤْتَمَنْ)([7]) مع إمكانية التعبير باسم المفعول (مأمون أو مُؤْتَمن) لكن العدول لا يكون إلا لغرض دلالي ليس في (مأمون)ألا وهو التركيز على إثبات المعنى المراد منه

---

[1] -ينظر شرح شافية ابن الحاجب ج١٣٩/٢.

[2] –هود من الآية ٩٣.

[3] – ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج١٢٠/٣.

٤– ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ج١٤١/٢.

[5] – الشعراء ١٧٨.

[6] –الشعراء ١٧٨، ١٩٣.

[7] – التحرير والتنوير ج٢٩٦/٢٥.

بصـــيغة تفيد دوام الوصـــف ، وثبوته لموصـــوفه مع المبالغة فيه ، مع صـــلاحيته للتعبير عن معنى المفعولية الصـــرفي ، فكانت دلالته في ســـياقه دلالة ثنائية ، وهو ما لا نجده في صيغة (مأمون أو مُؤْتَمن) الصريحة .

٥-أن أفعل التفضـيل ورد في سـبعة مواضـع ([1]) وقد تعدد صـوره ودلالاته على النحو الآتي:

أ-المشـاركة بين المفضَّـلِ والمُفضَّـلِ عليه في المعنى غير أن المفضـل يزيد على المفضـل عليه، وذلك إذا كان اسـم التفضـيل مجردًا، وقد ورد ذلك في أربعة مواضـــع، ومن أمثلة ذلك قوله جلَّ شـــأنه:" أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ"([2]) يأتي السياق كاشفًا عن حزن ممضٍ، في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه؛ لأنهم يرون رهطه سببًا لعدم رجمه ، وليس لكونه نبيًّا يهديهم إلى الحقِّ، واســـتفهامه التعجبي الاســـتنكاري لما ذهب إليه القوم؛ يزيد من ألمه، واسم التفضيل (أَعَزُّ) يوحي بفساد مقارنتهم للمفاضلة بين (رهطه) و (الله عزَّ وجلَّ) ، ويلاحظ أن الأسلوب استوفى أركانه كلها.

ومن أمثلة المفاضـــلة بين شـــيئين، وزيادة أحدهما على الآخر قوله تعالى:" ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ "([3]) في هذا السياق يقارن سيدنا شُعيب عليه السلام بين الخير المطلق في دعوته وأفضليته على غير ذلك، ويلاحظ إن المفاضلة في هذا السياق لم تستوفِ عناصرها كلها فالمفضل عليه محذوف للعلم به،

[1] – الأعراف ٨٥، ٨٧، ٨٧، هود ٨٦، ٩٢، الشعراء ١٨٨، ١٩٠

[2] – هود من الآية ٩٢.

[3] – الأعراف من الآية ٨٥.

أو ترفعًا عن ذكره؛ لأن الطاعة خير من الكفر والفســـاد.... وهذا مما عُلِمَ من السياق.

ب–الدلالة على التفضـيل المطلق للمُفَضَّـلِ، وذلك إذا كان اسـم التفضـيل مضـــافًا إلى معرفة، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضـــع ([1])، ومنه قوله تبارك اسمه:" وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ "([2]) في هذا السياق يلاحظ أن أسلوب التفضيل يمنح الله عز وجلَّ الكمال المطلق المسـتحق لذاته؛ لأنه لا يشـاركه أحد في حكمه وعدله؛ لذا لم يتعين مُفَضَلٌ عليه معينًا، فالله وحده هو خير الحاكمين، وهذا يؤكد حتمية وعد الله لنبيه سيدنا شُعيب عليه السلام بنصره ومَنْ تبعه، وتحقق وعيده للكافرين بعقابهم.

٦–أن اسم الآلة ورد في ثمانية مواضعَ ([3])، وقد ورد بناءان له هما:

أ–(مِفعَال) ، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع ، ومن ذلك قوله جلَّ شأنه :" أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ"([4]) تؤدي الجملة الطلبية دورها في الإفصـــاح عن الدلالة في هذا السياق ، فسيدنا شُعيب عليه السلام في خطابه قومه يأمرهم بإتمام الكيل والميزان ، وقد ذُكِر هذا الأمر في ســـورة الأعراف في قوله سـبحانه :" فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ"([5]) ، وهنا أتي التعبير بالمصـدر كناية عن الآلة ([6]) لما في المصـــدر من الديمومة والثبات ، وقد يأتي الطلب بالنهي

---

[1]– الأعراف ٨٧، ٨٩، والشعراء :١٩٠.

[2] – الأعراف من الآية ٨٧.

[3]– الأعراف ٨٥، وهود ٨٤ ، ٨٥ ، والشعراء ١٨١، ١٨٢،

[4] – هود من الآية :٨٥.

[5] – الأعراف من الآية ٨٤، وينظر: الشعراء ١٨١.

[6] –ينظر: فتح القدير ج٤٨٦/٩.وفي توجيه الاسمين عدة آراء لينسجم العطف.

عن نقص المكيال والميزان كما في قوله سبحانه :" وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ"([1])، كلّ هذا يوحي بأمرين: الأول: إصرار سيدنا شُعيب عليه السلام على ضرورة التزام القوم بما أمرهم من إتمام المكيال والميزان أو نهاهم عن نقصه، وعدم أيسه من استجابتهم ، والآخر : عناد القوم ورغبتهم عن طلب نبيهم .

ب-(فِعلال)، وقد ورد هذا الوزن غير القياسي ([2]) في موضع واحد هو قوله تبارك اسمه:" وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ"([3]) في هذا السياق من خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه ذُكِرَ الأمر بصورة مختلفة للفعل يوحي بضرورة الالتزام بالعدل المطلق، في وزنهم؛ لتقويم انحرافهم، وأكد ذلك اختيار اسم الآلة القسطاس بوزن (فِعلال) وهو كما قال ابن منظور " أقوم الموازين "([4])، وزاد من ذلك نعته بلفظ (الْمُسْتَقِيمِ).

المبحث الثالث: وظائف التراكيب النحوية في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام:

تتضافر المستويات اللغوية فيما بينها لإنتاج الدلالة ([5])، باعتبارها الغاية المُثلى التي يرومها الناقد، والنحو يمثل جزءًا لا ينفصم من هذا النسيج

---

[1]- هود من الآية ٨٤.

[2]- ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ج١/١٨٦ وفيها حديث عن أوزان اسم الآلة القياسية.

[3] -الشعراء :١٨٢.

[4] - لسان العرب :(ق س ط)ص٣٦٢٦

[5]-ينظر: عبد المطلب د. محمد: جدلية الإفراد والتراكيب في النقد العربي القديم، الشركة العالمية للطباعة والنشر لونجمان، ط١٩٩٥،١م ص١٥٤،

اللغوي المتشـــابك لتفســـير النصّ، وهو يتجاوز الإعراب؛ ليدرس التراكيب والعلاقات بين أجزائها وما يؤدي إلى اتساقها ([1])، وهو أساس السبك، فالنظم كما يرى عبدالقاهر الجرجاني قوامه النحو وتوخي معانيه ([2])، وفي قصـــتنا تكشــف البنية التركيبية عن علاقة الشــد والجذب بين طرفي الحوار، وتمثل الجملة الفعلية التي توحي بالحركة والانتقال؛ عماد النصّ، و أنها جاءت في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه بشكل أكثر تكثيفًا في إطار الطلب الدعوي، وتكليفات الرسالة التي جاء بهاء سواء أكان نداءً أم أمرًا أم نهيًا، و أن الجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية يعتريها منبهات أسلوبيّة تثريها دلاليًّا، ومنها:

أ-التقديم والتأخير:

يقوم التقديم والتأخير بوصفه منبهًا أسلوبيًّا على أساس الخروج عن القاعدة المألوفة، وقد ذكر سيبويه أن العرب" يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى " ([3])، وعده عبدالقاهر الجرجاني بابًا " كثير الفوائد ...بعيد الغاية "([4])، ويظهر التقديم والتأخير في قصتنا، على النحو الآتي:

---

[1] – ينظر: من وظائف الصوت اللغوي ص١٣.

[2] –ينظر: الجرجاني: عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر (القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ت)، ص ٣٦٢.

[3] –ينظر: الكتاب ج١/٣٤.

[4] – دلائل الإعجاز ص١٠٦.

أولًا – تقديم الخبر على المبتدأ:

ورد ذلك في موضعين ([1])، ومنه قوله سبحانه:" مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ"([2]) يؤدى تحريك الدوال أفقيًا في هذا السياق بتقديم الخبر (لَكُمْ) على المبتدأ (إله) جوازًا ([3]) إلى الخروج باللغة إلى طابعها الإبداعي؛ وبيان خصوصية العبادة لله وحده، وهذا كما أشار الرازي يقتضي إثبات خصوصية العبودية لله، ونفي العبودية لغيره ([4]).

ثانيًا تقديم المتعلّق:

ورد هذا في واحد وثلاثين موضعًا ([5])، ومنه قوله عزَّ وجلّ " وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ([6]) في هذه السياق قُدِّم متعلّق الفعل (أَخَافُ) وهو شبه الجملة (عَلَيْكُمْ)؛ لأنهم" اتسعوا في الظروف " ([7])؛ للدلالة على مكانة القوم عند نبيهم واهتمامه وعنايته بهم، وقربهم منه؛ رُغم كفرهم

---

[1]– الأعراف ٨٥، وهود ٨٤.

[2]– الأعراف من الآية :٨٥.

[3]- ينظر: شرح المفصل ج٩٢/١ في الحديث عن مواضع تقديم الخبر على المبتدأ جوازًا.

٤ – ينظر: مفاتيح الغيب١٤/١٨٠. .

[5]– وينظر: نماذج أخرى من تقديم المتعلق؛ الأعراف ٨٥،٨٩، ٩١، وهود ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧،٨٨،٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، والشعراء ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٣، والعنكبوت ٣٦، ٣٧.

[6]– هود من الآية ٨٨.

[7]- ينظر: الأصول في النحو ج٢٣١/١.

وإصرارهم على انحرافاتهم، وهذا لا يتساوى مع تأخير المتعلِّق؛ لتغير الدلالة، فالتقديم أبلغ؛ لأن التأخير سيعجل بالعذاب، وهذا خلاف المقصدية.

ثالثًا: التأخير:

وقد يكون التزام الرتبة النحوية مطلبًا ســـياقيًّا؛ لأن التأخير في هذه الحالة له في الحُسن ما له ([1])، وفي هذا يقول أبو هلال العسكري:" وتؤخّر منها ما يحســن تأخيره"([2])، وقد غلب هذا الأسلوب في القصــة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في خطاب سيدنا شُــعيب عليه الســلام لقومه:" حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا"([3]) في هذا السياق التزمت الجملة الرتبة المحفوظة؛ لتأتي بهذا النمط:

حرف ناصب +فعل +فاعل+ متعلِّق بالفعل (ظرف ومضاف إليه)

إن تحريك المتعلِّق (بَيْنَنَا) على غير ذلك؛ سيغير الدلالة المقصــودة؛ لأن الهدف هو التركيز على الفاعل وهو (اللهُ)؛ لبيان فضـــله في القضـــاء العادل بين ســيدنا شُــعيب عليه الســلام (ومن تبعه) وقومه، وفي هذا لفت لانتباه الكافرين إلى أن الأمر كله لله؛ وليس لغاية خاصـــة كما ظنوا، وهذا وعيد لمن كفر ووعد لمن آمن.

---

[1] -ينظر الكتاب ج٣٤/١.

[2] –العسكري: أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار الفكر العربي ، ط٢، ص١٥٧، وينظر: الكتاب ج٣٤/١ في ذكر إمام النحاة أهمية التقديم والتأخير.

[3] –الأعراف من الآية :٨٧.

ب-الحذف:

يمثل الحذف قيمة إيحائية؛ إذ إنه يقوم على الاختزال ووجود دليل على المحذوف ([1])؛ ليقوم المتلقي باستنباط هذا المحذوف، وقد أدرك علماؤنا القيم الجمالية له، فقال عنه عبدالقاهر الجرجاني:" هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، ...به ترك الذكر أفصح ...."([2])، وكَثُر الحذف في الأسلوب القرآني، وجاء الحذف في قصتنا على النحو الآتي:

أولًا-حذف حرف العطف:

ذهب الأستاذ الدكتور تمام حسان إلى أنه كثر حذفه " حين يتلوه فعل ماض من مادة القول "([3])، وقد حُذِفَ في ثلاثة مواضع ([4])، ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه:" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ: "والتقدير:" فقَالَ يَا قَوْمِ"؛ لأنه على تقدير سؤال ما قال شُعيب لهم؟ فقيل:" قَالَ يَا قَوْمِ..."([5])، وقد ذُكِرَ حرف العطف في قوله تعالى:" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ "([6])

---

[1]- ينظر: الخصائص ج٢/٣٦٠.

[2]- دلائل الإعجاز، ص٤٦.

[3]- حسان: تمام: البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ط١، عالم الكتب ،١٩٩٣م ص١٦٠.

[4]- الأعراف ٨٥، ٨٨، وهود ٨٤.

[5] - وينظر: البرهان في علوم القرآن ج٣/٢١٢.

[6] - العنكبوت ٣٦.

ثانيًا–حذف المضاف:

ذهـب ابن يعيش إلى أن حـذفـه" فـاش في كلام العرب..."([1])، وقد حُذف في ثلاثة مواضـــع ([2])، ومنـه قولـه تعالى:" وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُـــعَيْباً" والتقدير: وإلى أهلِ مدين، فحـذف المضـــاف (أهـل) ([3]) لأمن اللبس والعلم بـه، وأقـام المضاف إليه(مدين) مقامه اتساعًا، بناء على ما ذهب إليه كثير من المفسـرين من أن مدينَ اسـم موضـع بناه" مدين بن إبراهيم عليه السـلام" ([4])، فالمعلوم أن سيدنا شُعيبًا عليه السـلام أُرسِل برسالة إلى أهلها لا المكان.

ثالثًا–حذف الضمير:

يجوز حـذف الضـــمير العـائـد المنصـــوب "إن كـان متصـلًا..."([5])، وقد حُذِفَ في خمسة مواضع ([6])، ومنه ما جاء في خطـاب القوم نبيهم:" مَـا نَفْقَـهُ كَثِيرًا مِمَّـا تَقُولُ"([7]) في هـذا السياق حذف العائد المنصوب والتقدير:" مِمَّا تَقُولُه" وهذا السياق يحتمل شـــقين كما ذكر الشـــوكاني؛ الأول قد يكون عدم فقههم

---

[1]–شرح المفصل ج١/١١٥.

[2]– الأعراف ٨٥، وهود ٨٤، العنكبوت ٣٦.

[3]– وينظر: البرهان في علوم القرآن ج٣/١٤٨. .

[4]–ينظر: مفاتيح الغيب: ج١٤/١٨٠.

[5]– شرح التصريح على التوضيح ١/١٤٤.

[6] – هود الآيات ٨٧، ٩١، ٩٢، والشعراء الآية ١٨٨

[7] – هود من الآية ٩١.

حقيقة؛ لأنه أتى بما لم يألفوا، والآخر: مجازًا دلالة على بغض القوم نبيهم، وإعراضـــهم عنه، وعدم إجابة دعوته إلى عبادة الله ...([1])

ومن أمثلة ذلك ما جاء في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام قومه قوله جل شـــأنه " قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ "([2]) في هذه الآية حذف الضمير العائد المتصل وتقديره " بِمَا تَعْمَلُونَه" ، وقد حقق الحذف هدفين الأول: دلالي إذ إنه يوحي بعلم الله الكامل وأحاطته بكل عمل للقوم من كفر وكذب وفســـاد... ، وفي هذا كما يقول الشـــوكاني " تهديد شـــديد" ([3])، وفي مقابل هذا وعد للمؤمنين بالنصـــر ، أما الهدف الآخر: فهو صـــوتي للمحافظة على الصوت النوني الذي يشدُّ الأسماع فيمتعها .

رابعًا: حذف الفعل ([4]):

حُذِف الفعل ثلاث مرات في مستهل قصة سيدنا شُعيب عليه الســـلام عليه الســـلام في قوله ســـبحانه " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً"([5])، كما حُذف في مستهل قصة سيدنا هود عليه السلام، وقصـــة سـيدنا صـــالح عليه السـلام ([6]) وتقديره (أَرْسَـلْنا)، ودل

---

[1] – ينظر: فتح القدير ج ١٢/.٦٧١.

[2]–الشعراء الآية ١٨٨.

٣ – فتح القدير ج١٩/.١٠٦٦

٤ – ينظر الكتاب ج١/٣٣٩.

٥ – الأعراف من الآية ٨٥، وهود من الآية ٨٤، والعنكبوت ٣٦.

[6]– الأعراف ٦٥، ٧٣

السياق على المحذوف؛ لأن المرسل هو الله عزَّ وجلّ؛ لذا كان الأمر أولًا بعبادته.

ج-التكرار:

يدور المعنى اللغوي لمادة (ك ر ر) حول الرجوع والعطف وإعادة الشيء وردّه ([1])، وفي الاصطلاح هو "إعادة الشيء... وتفسيره بذكر الشيءٍ مرَّةً بعد أخرى"([2])، والتكرار يمثل وسيلة لغوية للتركيز على عنصر إيحائي؛ للتأكيد على الدلالة المقصودة بالإلحاح عليها، أو الإسهام في اتساق النص القرآني، ويمكن تناوله على النحو الآتي:

أولًا-تكرار الكلمة:

يلاحظ أن الكلمة تؤدي دورًا فاعلًا في بنية النصّ القرآني؛ لذا فإن ورودها يؤدي دورًا تعبيريًا فتكررت حروف العطف و(لا الناهية)، ومن ذلك قوله تبارك اسمه:" يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "([3]) ينطلق المسلك التعبيري من الجمل الفعلية الطلبية في هذه الآية؛ للكشف عن العلاقة بين سيدنا شُعيب عليه السلام وقومه، وجاءت الجمل كلها من تراكيبَ لم تنكسر بينها العلاقات النحوية، فبدأت بالنداء ؛ ليقربهم منه ،وأمرهم بتوحيد الله ،ثم نهيهم عن مفاسد وقعوا

[1]- ينظر: لسان العرب كرر/ ص٣٨٥١.

[2] االكفوي: الكليات: ص٢٦٨.

[3] -العنكبوت، الآية :٣٦

فيها، وجاء حرف العطف (الواو) ثلاث مرات؛ يؤدي ثلاثة أمور: الأول: دوره في الجمع و الربط بين جمل الأمر والنهي إذ إن العطف يقتضي التشريك المطلق لفظًا ومعنى ([1])،والثاني: طول الجملة؛ لأنه ربط بين أكثر من جملة، والأخير :أوحى بالطبيعة السردية للقصة، ويزداد الأمر وضوحًا إذا علمنا أن حرف العطف تردد في واحد وسبعين موضعًا، منها الواو في ثمانية وخمسين موضعًا .

ويبرز تكرار (لا الناهية) بوصفها منبهًا أسلوبيًّا في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه في عشرة مواضع ([2])، ومن ذلك (وَلَا تَبْخَسُواْ ، وَلَا تُفْسِدُواْ) وهذا يوحي بأمرين الأول: إلحاح سيدنا شُعيب عليه السلام في دعوته لقومه بالانتهاء عن الانحراف والفساد، وعدم أيسه من إجابتهم لما نهاهم عنه، أما الآخر: فيظهر إنكار القوم ورفضهم لما جاء به سيدنا شُعيب عليه السلام.

ثانيًا-تكرار الجمل:

يظهر تكرار الجمل في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام إلى قومه ؛ لتؤكد حُسن مراجعته، ومن ذلك:

[1]-ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج٣/٣٥٣.

[2] – الأعراف ٨٥، ٨٦، وهود ٨٤، ٨٥، والشعراء ١٨٣،١٨١، والعنكبوت ٣٦

-تكرار النداء :

يمثل تكرار النداء ملمحًا أسلوبيًّا لرسم ملامح العلاقة بين سيدنا شُعيب عليه السلام وقومه، فبدأ سيدنا شُعيب عليه السلام الحوار بنداء القوم (يَا قَوْمِ)، ويتضح أن هذا النداء ورد في تسعة مواضع ([1])، وهذا كثَّف الدلالة فحرف النداء (يا) للبعيد؛ إلا أن إضافة المنادى إلى ياء المتكلم يوحي بقرب القوم، ورغبة سيدنا شُعيب عليه السلام في أن تصل دعوته إليهم جميعًا؛ حرصًا على نجاتهم من العذاب، وزاد من توكيد هذه الرغبة وسيطرتها ما ارتبط بندائه من دوال على المستوى الأفقي في القصة كلها، ومنها : (اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا ،و بَيِّنَةٌ، و مِّن رَّبِّكُمْ، و أَوْفُواْ ، وَلَا تَبْخَسُواْ ، وَلَا تُفْسِدُواْ ، و بَعْدَ، و إِصْلَاحِهَا ، و خَيْرٌ ، و لَّكُمْ ، و....) فكلها دوال إيجابية تدفعهم إلى الخير، وحقق تكرار النداء على المستوى الشكلي سبك النصِّ.

وفي مقابل هذا النداء الودود يأتي نداء القوم لنبيهم بقولهم (يَا شُعَيْبُ) الذي ورد في ثلاثة مواضع ([2]) ليوحي هذا الاقتضاب في ندائهم مقارنة بالكم والكيف الذي جاء في نداء سيدنا شُعيب عليه السلام بالرغبة عنه والكفر بما أُرسل، ويزداد الأمر وضوحًا بما ارتبط بهذا النداء أفقيًّا من دوال، ومنها (لَنُخْرِجَنَّكَ، ولَتَعُودُنَّ، وأَصَلَاتُكَ ، و نَتْرُكَ، و يَعْبُدُ، و آبَاؤُنَا ، وأَمْوَالِنَا، وإِنَّكَ، ولَأَنْتَ،

[1] – ينظر : الأعراف ٨٥، ٩٣، وهود٨٤، ٨٥، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣ ، والعنكبوت ٣٦

[2] –الأعراف الآية ٨٨ ، و هود ٨٧ ، ٩١

والْحَلِيمُ، والرَّشِـيدُ ، ومَا ، ونَفْقَهُ ، وَإِنَّا، و لَنَرَاكَ، وضَـعِيفًا ...) ويتبين أنَّ هذه الدوال أتت لتوكيد الإصـــرار على المعصـــية، وتضافرت أكثر من وسيلة لغوية لتوكيد هذا، منها:

أولًا: توظيف الأفعال المضـــارعة المؤكدة بنون التوكيد نحو (لَنُخْرِجَنَّكَ، ولَتَعُودُنَّ) لتوحي بتجدد الفعل وديمومته، وقد تأتي هذه الأفعال منفية نحو (مَا نَفْقَهُ) لتوحي بتجدد عدم الفقه واســتمراره ومن هنا اســتمرارية الإعراض عن دعوة نبيهم عليه السلام.

ثانيًا: اســتخدام الجملة الاســتفهامية التي تدل على الســخرية والاستهزاء نحو (أَصَلَاتُكَ).

ثالثًا: مجيء الجملة الاسمية سواء أكانت مثبتة نحو (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِـيدُ، وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَـعِيفًا) أم منفية نحو (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) وفي الحالين إثباتاً ونفيًا تؤكد الجمل لزوم السخرية والاستهانة وثباتها لسيدنا شُعيب عليه السلام.

-تكرار الجمل الفعلية

إن الجملة الاســتفتاحية التي حُذِف فعلها جوازًا في قوله سبحانه " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً"([1]) وردت ثلاث مرات ([2]) في بداية القصة لتوحي بوحدة الموضوع، ولتجذب القلوب إلى ما في القصة من عِبَرٍ.

[1]-الأعراف من الآية ٨٥.

[2] – هود ٨٤، والعنكبوت ٣٦.

ومجيء الجملة الفعلية الطلبية:" اعْبُدُواْ اللَّهَ"([1]) ثلاث مرات يوحي بأن التوحيد هو الأصل الذي تبنى عليه كل أعمال الخير.

وذُكِرت الجملة الفعلية الطويلة المنهية في قوله تعالى:" وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "([2]) ثلاث مرات؛ لتوحي برغبة سيدنا شُعيب عليه السلام في تقويم انحراف القوم الاقتصادي، وفسادهم في الأرض.

-تكرار الجملة الاسمية:

وتكرار الجملة الاسمية:" مَا لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرُهُ"(٣) في موضعين يدل على ربط السبب بالمسبب، وهذا ينفي استحقاق غير الله بالعبودية المطلقة.

تكرار العبارة:

ومنه قوله سبحانه:" الَذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا"([4]) في هذا السياق تكررت العبارة مرتين يوحي بعظم ما أقبل عليه القوم من جُرم؛ لذا استحقوا العذاب العظيم، وذكر الرازي أن العرب تكرر " مثل هذا في التفخيم والتعظيم "([5]).

---

[1]- الأعراف من الآية ٨٥، و هود ٨٤، والعنكبوت ٣٦. .

[2] - الأعراف من الآية ٨٥، وهود من الآية ٨٥، والشعراء من الآية ١٨٣

[3]- الأعراف من الآية ٨٥، وهود من الآية ٨٤.

[4]- الأعراف من الآية ١٩٢.

[5]-مفاتيح الغيب، ج١٤/١٩٠.

الخاتمة:

بعد دراسة قصة سيدنا شُعيب عليه السلام عليه السلام دراسة في البنية والتركيب والدلالة اتضح لي ما يأتي:

– أن تكرار قصة سيدنا شُعيب عليه السلام في أربع سور من القرآن الكريم من وجوه إعجازه، فليس إعادة الذكر للغاية نفسها.

–أن الأصوات المجهورة التي اتصفت (بالشدة أو الرخاوة) والاستفال والانفتاح غلبت في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه؛ لتنسجم مع خطابه الدعوي، لكن تشكيل هذه الأصوات لدوال إيجابية، يوحي بصوت رقيق ممتد يحمل الرحمة، والإشفاق، والأسى، ولين الجانب، وما جاء مهموسًا و اتصف (بالشدة أو الرخاوة) والاستفال والانفتاح مع قلته انسجم صوتيًّا مع دلالاته، وغلبة الأصوات المجهورة التي اتصفت(بالشدة أو الرخاوة) والاستفال والانفتاح في خطاب القوم يوحي بالرفض والخروج على كل النواميس، وانحطاط أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم ، ومجافاتهم الحق .

–أن الفاصلة القرآنية في قصة سيدنا قصة شُعيب عليه السلام بُنيت على سبعة أحرف هي (النون، والدال، والميم، والباء، والطاء، والظاء، والزاي) وأن أكثرها وردًا هو صوت النون، وأقلها ورودًا (الظاء، والزاي) وجاءت الفاصلة في كل مواضعها متوافقة مع الدلالة في سياقاتها.

– وأن وحدة الوحدات الصوتية الآخذة للنفس في نهاية الفاصلة، يجعل المستمع يتوقعها؛ فيظل مشدودًا لها استماعًا وانصاتًا.

–أن المقاطع الصوتية في قصة سيدنا شُعيب عليه السلام جاءت من أربعة مقاطعَ: هي؛ المقطع القصير المفتوح (ص+ ح)، والمقطع

الطويل المفتوح (ص+ ح ح)، والمقطع الطويل المغلق بحركة قصـــيرة (ص + ح+ ص)، والمقطع الطويل المغلق بحركة طويلة (ص + ح ح+ ص)، ولم يرد المقطع الخامس، أو المقطع السادس.

– أن أكثر المقاطع شيوعًا جاءت في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه؛ وأكثرها وردًا هو المقطع القصير المفتوح(ص+ح)؛ وأقلها انتشارًا هو المقطع الطويل المغلق بحركة طويلة في حال الوقف (ص+ح ح+ص)؛ لأنه في حجاجه لقومه ودعوته لهم كان يعتمد وسائل إقناع متعددة؛ وفي مقابل هذا كله نجد المقاطع في خطاب القوم أقلَّ شيوعًا؛ لأنهم مالوا إلى الإيجاز؛ لأنهم لا حجة لهم، وراغبون عن نبيهم.

–أن الأفعال الماضية ترددت بشكل مباشر بنسبة ٥٠٪؛ لتؤكد الطبيعة السردية للنص القرآني وغلبة الحوار عليه، وأن فعل الأمر ورد في خطاب القوم في موضع واحد؛ ليدل على عصيانهم المستمر.

– أن عدد الأفعال المزيدة في قصتنا أربعة وثلاثون فعلًا، وأكثر الأوزان انتشارًا هو وزن (فَعَّل)، وأن أقلها انتشارًا جاءت بوزن (فاعَلَ) وتأتي الأفعال المزيدة في قصتنا بأوزانها؛ لتحمل دلالات يؤديها السياق، وأن أبنية المشتقات وردت في سبعة خمسين موضعًا، وتنوعت دلالاتها وفق سياقاتها، ويمثل اسم الفاعل أكثرها ورودًا، واسم المفعول أقلها ورودًا.

–أن الجملة الفعلية جاءت في خطاب سيدنا شُعيب عليه السلام لقومه بشكل أكثر تكثيفًا في إطار الطلب الدعوي، ويلاحظ أن الجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية دخلتها منبهات أسلوبيّة أثرتها دلاليًّا، كالتقديم والتأخير والحذف والتكرار.

المصادر والمراجع:

١-الأزهري: خالد: شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشية العلامة يس بن زين الدين، ط دار الاستقامة، ط١، ١٣٧٤هـ -١٩٥٤م.

٢-أنيس، د: إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.

٣-أيوب: د. حامد محمد عبدالعزيز: الفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب دراسة إيقاعية دلالية، من كتاب مؤتمر أسئلة البلاغة والدراسات البينية (عُقد المؤتمر بكلية الآداب، جامعة المنوفية، ٣١يناير ٢٠١٥م إلى ٢من فبراير عام ٢٠١٥م).

٤-البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ،١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م.

٥-البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي دار الكتب العربية الكبرى، ط٦، د ت.

٦-تمام. د. حسان: مناهج البحث في اللغة، ط١، ١٩٥٥م.

٧-جبل: د. محمد حسن: المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، ط٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٨-الجرجاني: عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر (القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ت).

٩ -ابن جني: الخصائص، ت: محمد عبدالعزيز النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت، د. ت.

– المنصـــف، شـــرح كتاب التصـــريف لأبي عثمان المازني ت: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م..

١٠–حســـان: تمام: البيان في روائع القرآن دراســـة لغوية وأســـلوبية للنص القرآني، ط١، عالم الكتب ،١٩٩٣م.

١١–الرازي: مفاتيح الغيب، دار الفكر –بيروت – ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

١٢–الرضـي الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، تحقيق الأساتذة محمد نور الحســـن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،١٩٨٢م.

١٣–الزركشـــي البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار التراث بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

١٤–الزمخشـــري: الكشـــاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت عادل أحمد عبدالجواد، وعلي محمد معوَّض، فتحي أحمد حجازي مكتبة العبيكان، ط١٤١٨،١هـ، ١٩٩٨م

١٥–الســـامرائي: د. فاضـــل صـــالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط٢، ٢٠٠٧م .

١٦–ابن السـراج: الأصـول في النحو، ت د. عبد الحسـين الفتلي، مؤسـسـة الرسالة، لبنان، ط٣/١٩٩٦م.

١٧–سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢،،١٤٠٢هـ –١٩٨٢م.

١٨-الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط٤ ،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧ م.

١٩-الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، ط٢، د. ت.

٢٠-ابن عاشور: الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢١-عبدالتواب، د. رمضان: المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

٢٢-عبدالمطلب د. محمد: جدلية الإفراد والتراكيب في النقد العربي القديم، الشركة العالمية للطباعة والنشر لونجمان، ط١، ١٩٩٥م.

٢٣-العسكري: أبو هلال: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، د. ت.

٢٤-عضيمة: د. محمد عبدالخالق : دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث، د. ت.

٢٥-ابن فارس: أحمد الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٦-كشك، د. أحمد: من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م .

٢٧-الكفوي: الكليات معجم في المصـــطلحات والفروق اللغوية، قابله على نسخة خطية ووضع فهارسه، د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٣ ، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢٨-ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م.

٢٩-والمطلبي: د. فاضل راغب: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، مشورات زارة الثقافة والإعلام العراقية،١٩٨٤م.

٣٠-ابن منظور: لســـان العرب، دار المعارف، ت: عبد الله على الكبير وآخرين، د. ت.

٣١-ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، ت محمد محيي الدين عبدالحميد ، ادار الفكر د.ت.

٣٢-ابن يعيش: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية د. ت.